اللغة العربية

في التعليم العالي والبحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

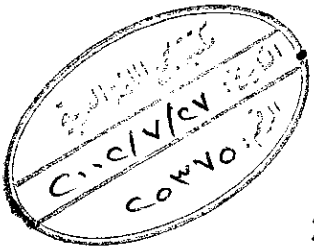

مكتبة مجمع اللغة العربية
التاريخ: ٢٧/٧/٢٠٠٢
الرقم: ٢٥٣٧٥

مكتبة مجمع اللغة العربية
التاريخ: ١٨/٧/
الرقم: ١٦٦٤٢٩

اللغة العربيّة

في التعليم العالي والبحث العلمي

محاضرات تتناول التعريب في الوطن العربي
تدريسًا وتأليفًا ومصطلحًا

الدكتور مازن المبارك

دار النفائس

جميع الحقوق محفوظة

دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص.ب 5152/14
فاكس: 861367 ـ هاتف: 803152
أو 810194 بيروت ـ لبنان

الطبعة الاولى: 1394 هـ ـ 1974 م
الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة: 1418 هـ ـ 1998 م

هذه الصفحات

هل اللغة العربية قادرة على أن تكون لغة التعليم في مراحل التعليم العالي؟

هل تصلح اللغة العربية للتأليف العلمي؟

هل في العربية، من المصطلحات، ما يكفي لسد حاجة البحث العلمي، والتأليف فيه؟

هل اللغة العربية لغة أدب وشعر وتاريخ، فقط؟

ماذا تعني الدعوة إلى التخلي عن اللغة العربية في التعليم العالي، وفي البحث العلمي؟

هذه الأسئلة، وغيرها، كانت مثار جدل في كثير من الندوات والمؤتمرات التي تناولت تطوير التعليم العالي، وقضايا اللغة العربية في الأقطار العربية المختلفة.

ولست أكتم أن كثيراً، مما سمعت وقرأت، لم يكن طابعه العلم، وأن كثيراً، مما قيل وكُتب، كان مشوباً بالعاطفة أو الإلف والاعتياد أو المصلحة أو حب الميل إلى اليسر والسهولة، والرغبة عن المشقة وبذل الجهد.

كما لست أكتم أيضاً أن كثيراً من هذه الأسئلة لا يستطيع المختصُّ باللغة وحدها، أن يتولى الإجابة عنها، وأن اللغويَّ الذي لم تقفه المشكلات، التي وقفت في طريق زملائه

المختصين، بفنون العلم المختلفة لا يستطيع أن يدرك ما يعانون ولا أن يقدم لهم الحلول المناسبة.

وكذلك، لا يستطيع المختصون بفنون العلم أن يتغلبوا على الصعوبات التي تواجههم في مجال اللغة ما لم يريدوا ذلك أولاً، وما لم يكونوا على بصيرة بطبيعة هذه اللغة ثانياً. إنها مشكلة لا بدَّ، في حلها، من تعاونٍ مخلصٍ بين المختصين بعلم اللغة والمختصين بالعلوم الأُخرى، ليفهمَ اللغويون مشكلات زملائهم، ويفيد زملاؤهم من معرفتهم باللغة وأساليبها. ولا بدَّ قبل ذلك كله، من أن يتوفر قدر كافٍ من الموضوعية والإخلاص للحقيقة، سواء وافقت هوانا أم خالفته، وسواء كانت لنا فيها الراحة أم كان لنا، من ورائها، المشقة والجهد.

وهذه صفحات بذلت فيها الجهد الذي اتسع له الوقت، وليست هي أول ما كُتب في الموضوع، ولا آخر ما يُكتب فيه، ولكني جهدت، قبل كتابتها، في أن أطلع على آراء الكثيرين من المختصين بالعلوم من طب وهندسة ورياضيات وكيمياء وفيزياء وحيوان ونبات، وأن أسمع ما قالوه وما شكوا منه، وأن أقرأ في كتبهم وأحس المشكلة التي أحسوا، لأُحاول أن أضع الجهد في خدمتهم، فلا أتجاهل ما يشكون منه، ولا أضع الحل بعيداً عمن يعاني المشكلة، فإن أكن وفقت فذلك ما أردت، وإن تكن الأُخرى فحسبي أنني شاركت في الجهد وأسهمت في القيام بالواجب، وعسى أن يكون غيري أكثر توفيقاً فيبلغ ما لم أبلغ، والله المستعان.

دمشق 27 شوال سنة 1393هـ

21 تشرين الثاني 1973م

مازن المبارك

اللغة العربيّة في التعليم العالي[1]

1 ـ بيننا وبين لغتنا

إذا كانت اللغة، عند الأمم، وسيلة للتعبير عن الأغراض والأفكار، فإنها بالنسبة إلينا، نحن العرب، دعامة وحدتنا، ومظهر رائع للتماثل الكامل بين الشعوب القاطنة بين الخليج والمحيط. وإن الحد اللغوي للوطن العربي اليوم هو وحده الحد الصحيح للوطن الذي تتطلع الآمال إليه. إنه الوطن الذي تحده شمالاً لغة الأتراك، وتحده شرقاً لغة الفرس، ويمتد جنوباً في بلاد العرب إلى البحر، ويتسع غرباً في الشمال العربي الأفريقي إلى المحيط. هذه الحدود الواسعة، اليوم، هي حدود اللغة العربية الواحدة، هي حدود وطننا الروحي الكبير بلا حدود ولا حواجز. وإن قولنا اليوم إن الوطن العربي يمتد من الخليج إلى المحيط قول ينطبق، أول ما ينطبق، وأصدق ما ينطبق، على وطن اللسان العربي المشترك. ومن هنا وجب الربط بين الوعي القومي والهدف الوحدوي، من جهة، والوعي اللغوي، من جهة ثانية. وإننا لنعتقد أن الوعي الثقافي والوعي القومي لا

---

(1) من بحث ألقي في المؤتمر التربوي لتطوير التعليم العالي والجامعي بدمشق (آب 1971).

يبلغان الكمال ما لم يرافقهما وعي لغوي سليم، إذ كيف يكون هناك وعي ثقافي وقومي إذا لم يكن، قبلهما، وعي لأول مقومات الثقافة والقومية.

إن الأمة العربية اليوم في حاجة إلى بعث الوعي العميق لكل جوانب أصالتها، وإن أول خطوات الوعي أن يعي الإنسان العربي ذاته، ووعي اللغة، في معنى من معانيه، وعي للذات. وإن الجامعات العربية، وهي مراكز الإشعاع الفكري الحر، مدعوة إلى بعث هذا الوعي اللغوي، ورفع شعار النهضة اللغوية، وبيان الحاجة الماسة إليها، والعمل على توفير أسبابها، وإعلان أن أية دعوة إلى بناء المجتمع العربي تبقى بتراء ناقصة إذا لم يكن من همها رعاية اللغة والعمل على صيانتها ونمائها، ومدها بما يكفل مواءمتها للتطور العلمي السريع الذي نشهده اليوم.

وليس هذا أمراً خاصاً بلغتنا، ولكنه المبدأ العام الذي يشمل كل اللُغى وجميع الأقوام، وفي تاريخ الشعوب والأُمم خير دليل على صحة ذلك. إن نابليون غزا بلاد الألمان وجزأها ومزق وحدتها، فقام رجال الفكر فيهم يبعثون اللغة ويحيون وحدتها معلنين أن الوطن، مهما يتجزأ، وطن اللغة الواحدة. إن أمماً كثيرة مزقها الاستعمار فاعتصمت بوحدة اللغة واتخذت، من ذلك، سلاحاً ضد التفرقة ورمزاً للتحرير. وإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن تاريخ اللغة وما مرت به من مراحل الصراع لدى كثير من الأقوام هو نفسه تاريخ الصراع التحرري لتلك الأقوام. ولو استعرضنا تاريخ اللغة العربية، وما مرت به في ماضيها البعيد والقريب، وفي حاضرها من فترات القوة

والضعف، لوجدناه صورة صادقة للكفاح العنيف الذي مرت به أمتنا، ولِمَ لا يكون الأمر كذلك ولغتنا العربية ليست مجرد رموز ولا مجرد أداة للتفاهم، ولكنها اللغة التي عاشت حياتنا نفسها منذ أن تحرك بها اللسان العربي الأول إلى يومنا هذا. إنها صورة تاريخنا ووعاء تراثنا ومرتسم حضارتنا.

وحسبنا أنه ما من فترة من تاريخنا، كان للاستعمار فيها نفوذ أو سلطان في قطر من أقطارنا إلا وكانت أولى سهامه تسدد إلى اللغة إضعافاً وعزلاً عن العلم وإبعاداً عن الحياة.

لقد كانت أُولى توصيات الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف إلى الجزائر: «**علِّموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة**». وليست توصية هذا الحاكم الفرنسي إلا ترجمة لتوصية سلفه المستعمِر الفرنسي نابليون الذي قال لبعثته الوافدة إلى مصر: «**علِّموا الفرنسية ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن**».

لقد أدرك هؤلاء الغاصبون وأمثالهم أن اللغة القومية تشد الإنسان الفرد إلى قومه، وتربي فيه شخصية أمته، وتنمي فيه عزتها وتمنحه أصالة الانتماء إليها... بل لقد آمنوا بما قاله علماؤنا، بصدد الحض على تعلم العربية، من أن لغة المرء تؤثر في عقله وخلقه، وأن ثقافته اللغوية تميل به إلى حب أهل اللغة...

ولهذه الصلة الوثيقة، بين القوم ولغتهم، سميت اللغة القومية للإنسان باللغة الأُم. ولهذه الصلة نفسها، بين الأمة واللغة، يقترن الوعي السياسي والقومي، لدى الأمم الراقية،

بالاعتزاز باللغة والوعي الكامل لرسالتها الرائعة في حياة الأمة ووحدتها.

2 ـ مسايرة اللغة العربية لحياة الأمة في الجاهلية وما بعدها...

عاشت العربية عصر الجاهلية، الذي عرفناه، موفية بحاجاته، معبرة عن أبعاد الحياة فيه. صحيح أن معارف العرب، في ذلك العصر، كانت محدودة تتصل، أكثر ما تتصل، بحياة ضيقة وأدوات قليلة إلا أن لغتهم كانت غنية بالألفاظ لأصغر الأُمور المتصلة بحياتهم، وأدق الأجزاء في أدواتهم، ثم أنها كانت غنية بما احتوت عليه من شعر ونثر وحكم وأمثال...

وتلا ذلك العصر الإسلامي، وظهرت علوم جديدة كالتفسير والحديث والفقه والنحو، فاستوعبت العربية تلك العلوم، ووضعت فيها المصطلحات فكانت ألفاظاً عربية صحيحة الوضع، محكمة الدلالة، ساعدت عليها خصائص لغوية رائعة أهمها الاشتقاق..

واتسعت حياة العرب في ظل الحكم العباسي، وظهرت حركة نشيطة دائبة واسعة في ميدان الترجمة والنقل، وبدأ احتكاك لغوي رائع بين علوم أُلِّف فيها الفرس والهنود واليونان، ولغة يراد منها أن تستوعب كل جديد في الطب والصيدلة والرياضيات والفلسفة والمنطق...

واستطاعت العربية، بفضل المخلصين من العلماء، أن تتغلب على تلك الصعوبات، فلم ينادِ أحد بتعلم، من يرغب

من المتعلمين، لغات الفرس والهند واليونان، ولكن قاموا بنقل علوم تلك الأقوام إلى لسان الأمة الذي يتقنه كل متعلم، فإذا علوم تلك الأمم مبسوطة باللسان العربي.

إن علماء تلك العصور ونقلة العلوم فيها كانوا يتصفون بالذكاء والإخلاص وبُعد الهمة فاستطاعوا التغلب على صعوبة الترجمة والنقل ووضع المصطلح بالاشتقاق والتعريب ومنح اللفظ العربي القديم معنى جديداً، وغير ذلك من الوسائل التي تحيي اللغة وتجعل منها لغة العلم الحي والعصر المتطور.

ثم تلت ذلك عصور متتابعة فقدت العروبة، خلالها، بهاءها، وغلا فيها البهرج الزائف وخبا الجوهر الأصيل، وخلف فيها خلف أضاعوا أصالة اللغة، فتركوا ألفاظها بلا روح، وصوروها بلا حياة، ومصطلحها بلا ذوق، فإذا هي لغة ضاع فيها الفكر تحت حجاب كثيف من الصنعة، وابتعد بها أهلها عن حياة العلم والإبداع لابتعادهم، أنفسهم، عن تلك الحياة الزاخرة من حولهم في العالم المتطور.

وفي هذه الفترة من الزمن، واللغة على ما وصفنا من ضعف وعزلة، بدأ اتصال الغرب المتمدن بالشرق المتخلف، فبدا واضحاً أن اللغة لا تستطيع أن تضطلع بأعباء التعبير عن متطلبات العصر ومعطيات العلم، فكان هذا العجز، الذي قيدت به اللغة، فرصة للناقمين من أعدائها والجاهلين من أبنائها يأخذونها به طعناً وإزراءً، وبذلك بدأت صفحة صراع جديد، إن شئت، بين العرب وأعدائهم، وإن شئت قلت: إنه بين اللغة العربية وأعدائها، لأنهما وجهان لحقيقة واحدة، حقيقة الصراع مع الاستعمار والكفاح في سبيل التحرير والمحافظة على

الذات، وما تاريخ اللغة العربية المعاصر إلا صورة لكفاح الأمة، في شتى أقطارها، في سبيل التحرر والاستقلال الوطني. ففي بلاد الشام صراع بين العربية والتركية، وفي مصر صراع بين العربية والفرنسية، أولاً، ثم صراع بين الفرنسية والإنكليزية، ثم عاد الصراع بين العربية والإنكليزية، وفي المغرب العربي مثل ذلك صراع بين العربية واللغات الدخيلة دخول أصحابها المغتصبين.

وبدأت في بلاد العرب مرحلة الوعي الجديد، وعي الأُمة لذاتها ولمقومات كيانها، وأخذت الأُمة بالعودة إلى حجر العربية وإحيائها، تأليفاً، وترجمةً، وتدريساً، ومصطلحاً. وظهرت في هذا الميدان، جهود ينبغي أن تذكر دوماً بالثناء، وهي جهود مجامع اللغة العربية عامة، وجهود مجمع اللغة العربية بدمشق خاصة، وجهود أبطال التعريب من أساتذة الجامعات.

أما التأليف، فقد عاد فيه إلى اللغة العربية كثير مما افتقده في العصور السابقة، من عمق في المعاني ووضوح في الأفكار، وسلامة في اللغة ونصاعة في البيان. وظهرت في اللغة العربية، إلى جانب كتب اللغة والأدب، كتب علمية جيدة استطاع مؤلفوها أن يجمعوا بين الغرض العلمي وسلامة اللغة وجودة العرض وحسن الأداء. وكان لطائفة من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق القدح المعلى في هذا المضمار[1].

---

(1) من أمثلة ذلك الكتب التي أُلفت في علوم الطب والصيدلة في القرن الماضي بمصر، على تفاوت بينها، ككتب الجراح الدكتور محمد البقلي، والدكتور محمد الشافعي، طبيب الأمراض الباطنية، وكتب=

كل ذلك يدل على أن العجز، إن وقع، عن التأليف في اللغة العربية، فليست اللغة مسؤولة عنه وإنما هي مسؤولية المؤلفين العاجزين ومسؤولية الذين لم يهيئوا للغة أسباب المرانة والطواعية والنماء.

وأما التدريس، فقد عادت إلى العربية فيه بعض مكانتها، ولما يعد إليها كل ما يجب وما تستحقه في هذا المجال.

فبعد أن كانت التركية لغة التدريس في بلاد الشام، وكانت اللغة العربية، نفسها، تُدَرَّس باللغة التركية، وكتبُ نحوِها وصرفِها تؤلَّف باللغة التركية، عاد إلى العربية مجدها وعادت إليها مكانتها حين عاد إلى الوطن استقلاله وإلى الأمة تقرير مصيرها.

وابتدأ التعليم العالي في بلاد الشام، فكانت من أسبق بلاد العروبة إلى إعلان كفاءة اللغة العربية واتخاذها لغة للتدريس في جميع كليات جامعة دمشق.

وأما مصر، فقد استمر التدريس فيها باللغة العربية إلا في المدارس العالية، كمدرسة الطب التي أنشئت سنة 1826 ونقلت إلى القاهرة سنة 1837 وعرفت باسم (قصر العيني)، وظل

= الأستاذ محمد ندى في الزراعة والنبات والجيولوجيا والكيمياء.. وكالكتب التي ظهرت، في هذا العصر، في بلاد الشام للأساتذة: جميل الخاني في علم الطبيعة، وأحمد حمدي الخياط في علم الجراثيم، وحسني سبح في الأمراض الباطنية، وصلاح الدين الكواكبي في الكيمياء. وقد ظهرت، بعد ذلك، في العربية كتب علمية رائعة، سنذكرها فيما بعد.

التدريس فيها باللغة العربية قرابة سبعين سنة حتى دخل الإنكليز، فجعلوا لغة التدريس فيها لغتهم، كما صنعوا ذلك في الكلية الأمريكية ببيروت، فقد كانت العربية لغة التعليم فيها حين أُنشئت، ثم لم تلبث أن أحلت الإنكليزية محلها. . وما دخل الإنكليز بلداً إلا أحلوا لغتهم محل لغته القومية فيه إيماناً منهم بأثر التبعية الثقافية في قتل روح الأمة، وسعياً إلى عزل اللغة القومية عن مجال العلم والتعليم العالي في البلاد، إذ لو كان الغرض من جعل التعليم العالي بلغة أجنبية هو أن يتصل الطلاب بمصادر العلم والمعرفة، في العصر الحديث، فلماذا حارب الإنكليز اللغة الفرنسية التي كانت قد سبقتهم إلى السيادة في القطر المصري، إبان الاحتلال، وهي لغة لا تقل عن لغتهم شأناً إن لم تتقدمها في مجال العلم والثقافة؟؟

لقد أقصى الإنكليز لغة البلاد عن التعليم العالي في مصر، ثم في لبنان، حتى جاءت كلية الطب في جامعة دمشق، فكانت رائدة العودة إلى سيادة اللغة القومية.

3 ـ في الترجمة ووضع المصطلحات

بدأت الترجمة مع فجر عصر النهضة عن طريق رجال البعثات التي أوفدها محمد علي وعادت بالثقافة الفرنسية، وعن طريق المدارس الطبية والهندسية والزراعية ومدرسة الألسن التي أسسها. واشتهر عدد من الرجال المثقفين[1] الذين أتقنوا اللغتين

(1) مثل محمد عمر التونسي صاحب «الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية»، وإبراهيم الدسوقي، والدكتور عيسى، صاحب معجم أسماء النبات.

فترجموا، ونقلوا عن اللغات الأجنبية عدداً كبيراً من كتب العلوم، وواجهتهم مشكلة المصطلحات الحديثة فاستطاع أكثرهم التغلب عليها، إمّا لقوته في اللغة العربية، وإمّا بالاعتماد على الكتب العربية القديمة التي وضعت في العلم نفسه، وتتابعت جهود العلماء والمجامع اللغوية في هذا السبيل حتى أصبحت عندنا ثروة من المصطلحات تتجاوز عشرات الألوف في الطب والصيدلة والزراعة والرياضيات والكيمياء والفيزياء والهندسة والعلوم العسكرية والحقوقية وغيرها، وحسبنا مثلاً لجهود الأفراد، أن معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي يحتوي وحده على عشرة آلاف لفظة، وحسبنا مثلاً، لجهود اللجان، أن لجنة المعجم العسكري وحدها وضعت في هذا المعجم أربعين ألفاً من الألفاظ والمصطلحات العسكرية العربية.

كل ذلك يدل على أن اللغة العربية، حين حظيت من أبنائها بالرعاية والعزم والإخلاص استطاعت أن تستوعب ما نقل وما ترجم، واستطاعت أن تضطلع بعبء المصطلحات العلمية والفنية وتثبت في عالم العلم لغة علم وتأليف وتدريس.

يقول الأمير مصطفى الشهابي بهذا الصدد: «لقد مر على إنشاء كلية الطب، بدمشق، خمس وثلاثون[1] سنة، وهي ثابتة، تعلّم العلوم بالعربية، وتبرهن على أن هذه اللغة لا تعجز عن مجاراة اللغات الأخرى، إذا ما تعاهدها أبناؤها وأخلصوا لها. ومستوى خريجي هذه الكلية لا يقل إجمالاً عن مستوى خريجي الكليات التي تعلّم بلغات أجنبية في بيروت أو بغداد أو القاهرة.

---

(1) وكان، رحمه الله، قال ذلك في عام 1955م.

ففي كل من هذه المدارس يتخرج المتفوق والمتوسط من الأطباء، والعبرة في الجملة.

وحجة القائلين بتدريس العلوم الطبية بلغة أجنبية معروفة. وهي أن الطبيب، الذي يتعلم بهذه اللغة، يجد بعد الدراسة مجالاً للاختصاص، ولتوسيع معلوماته، خلافاً للطبيب الذي يتعلم باللغة العربية، ولكن هذه الحجة تزول عندما تتخذ الوسائل الآتية في التعليم الثانوي والتعليم العالي في البلاد العربية:

1 ـ إتقان تدريس لغة أعجمية كبيرة، كالفرنسية، أو الإنكليزية، أو الألمانية، أو الروسية، في المدارس الثانوية.

2 ـ تدريس تلك اللغة بتوسع في كلية الطب، أو الهندسة أو العلوم.

3 ـ انتداب أساتيذ أجانب يلقون دروساً أو محاضرات عملية باللغة الملمح إليها.

4 ـ ذكر الأسماء والمصطلحات العلمية الأعجمية أثناء التدريس بالعربية.

وبهذه الوسائل يستطيع الطالب الذي يدرس دروسه العالية بالعربية أن يوسع معلوماته، وأن يختص في معاهد الاختصاص في ديار الغرب بلا عناء»[1].

على أن من المفيد، هنا، أن نذكر أنه لم يكن كل الذين أسهموا في وضع المصطلحات موفقين في مصطلحاتهم. إن كثيراً من الكتب المترجمة، في العصر الحديث، لا تصلح مثالاً

---

(1) المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي ص59 ـ 60.

على صلاح العربية للنقل، لأن المترجم لم يكن قوياً في اللغتين، والترجمة في حقيقتها ليست مجرد وضع لفظ عربي في مقابل لفظ أجنبي، ولكنها نقل الفكرة بكل أبعادها، وشتان ما بين من يترجم الألفاظ فإذا هي ألفاظ عربية ولكنها غائمة الأفكار، ضائعة المعاني، ومن ينقل إلى العربية، فإذا أنت معه أمام أسلوب عربي لفظاً وفكراً.

4 ـ واجبنا نحو اللغة العربية في ضوء أهداف المؤتمر

أهداف المؤتمر التربوي للتعليم الجامعي والعالي محددة واضحة؛ وخطوات الإصلاح، أيضاً، محددة واضحة، وكل رجائنا أن يتحقق الأمل ويثمر الرجاء. ولسنا نكتم أننا متفائلون لهذه البادرة الثورية الإصلاحية الجادة، لأنها جاءت متفقة ومتجاوبة مع ما في نفوس الهيئة الجامعية من آمال قديمة في إصلاح التعليم لا ترقيعه، وشتان ما بين الإصلاح والترقيع. الترقيع الذي نقوم به، بين الحين والحين، غير مجد لأنه، في كثير من الأحيان، مرتجل مؤقت، سرعان ما تبدو لنا عيوبه فنسارع إلى ترقيع جديد. أما الإصلاح الذي نريد اليوم فإصلاح جذري شامل، تنسجم فيه الخطة والوسيلة مع الغاية والهدف، ويتحقق فيه توازن رصين بين علم نلقنه لطلابنا وتطلع نحو البحث الدؤوب نغرسه في نفوسهم ومناهج قويمة نعدها في ضوء التجربة والواقع. إصلاح نراعي فيه بين التقدم العلمي الرائع للعالم من حولنا، وننظر إليه من خلال حاجاتنا المحلية وأوضاعنا القومية وظروفنا التاريخية. إصلاح يهيئ طلابنا لما سيضطلعون به من أعباء مستقبل ثقيل خطير، لا مكان فيه لمقصر عاجز أو ضعيف متخلف.

إن من أبرز أهداف مؤتمرنا أن نربط بين ما نعلمه لأبناء الأمة وما نعدهم له. وأي ربط أشرف وأولى من ربطنا بين التعليم وما تتطلع إليه الأمة من أمان وطنية وقومية؟؟ وأي عمل أولى، من أن نجعل الجامعات ومعاهد التعليم العالي مصانع للرجال الذين استنارت بصائرهم وتأصلت شخصياتهم وتركزت دعائم انتمائهم إلى أمتهم، فتخرجوا ليتقدموا بمجتمعهم لا ليتمردوا عليه؟؟ وهل تكون الجامعات كذلك إلا بإقامة توازن بين علم نأخذ بأسبابه وظروف اجتماعية وقومية مصيرية تمر بها الأمة؟؟

إننا نعتقد أن الواجب القومي، اليوم، يفرض علينا أن نعمل على تخريج الباحث العربي والعالم العربي، وأن نعمل على أن يكون المتخرج مالكاً لقابلية التعلم ووسيلة البحث وأسلوب التفكير. إن تعليمنا يجب أن يهدف إلى تخريج الشاب العربي الأصيل، المدرك لذاته، الواعي لواقع أمته، المؤهل بقابلية التطور المتزن. إن تعليمنا يجب أن يهدف إلى القضاء على التخلف المادي مع المحافظة على روح الأمة وشخصيتها وأصالتها وتنمية الافتخار بالانتماء إليها والاعتزاز بتراثها.

إن من علامات النجاح في التعليم، أن يستطيع هذا التعليم المواءمة بين العلم، بأوسع أبعاده وأشملها، وبين الأوضاع الاجتماعية والقومية والتاريخية للأمة. إنه، بتعبير أدق، تعليم يجعل من أبناء الأمة علماء قادرين على متابعة أرقى ما يصل إليه العلم، في اختصاصهم، دون أن يفصلهم عن مسيرة أمتهم، ودون أن يقبل منهم موقف الحياد إزاء تراثها وحاضرها ومستقبلها. إنهم عربٍ قبل أن يكونوا علماء؛ وعلماء ولكن في سبيل خدمة الأمة العربية وقضاياها.

وأي علم، في هذا المجال، يتقدم علم اللغة وآدابها؟؟. وهو العلم الذي يغذي روح الأمة في شخصية الفرد، ويجعل الأمة حية في نفوس أبنائها. وإنه لتناقض عجيب بل مريب أن نلقن طلابنا شرف لغتنا وكونها دعامة قوميتهم، وأن نتحدث لهم عن مزاياها وفضائلها ثم نعزلهم عنها ونعزلها عنهم، فلا نعلمهم بها ولا نعلمهم إياها فنبرهن لهم، عملياً، أنها لغة قاصرة عاجزة، لا تصلح للعلم ولا للتعليم.

إن الأمة التي تهمل لغتها، أمّة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية، وحاشا أن نريد ذلك أو نقبل به. إننا نؤمن أن تعلم اللغة وتعليمها ليس مهنة، أو قضية تعليمية، وإنما هو قضية وطنية ورسالة قومية.

ونرى، إلى جانب ذلك، أن في إهمال التدريس باللغة العربية حداً من نشر العلم يجعله قاصراً على من يتقن اللغة الأجنبية التي هي لغة التدريس والتعليم. وقد رأينا بطلان الحجة القائلة بأن التعليم باللغة الأجنبية هو، وحده، الذي يمكن الطالب من متابعة تحصيله.. ونحن حين ندعو إلى ذلك لا ننكر أهمية اللغات الأجنبية، بل ننادي بإصرار على وجوب تعليمها وإتقانها، ولكننا ننكر ألّا تكون العربية لغة التعليم في كل الكليات، كما ننكر إهمال تعليمها وعدم إدخالها مقرراً دراسياً في جميع الأقسام.

إن التعليم بغير العربية يلقي في نفوس الطلاب أن لغتهم القومية غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح أداة للعلم ولا وسيلة للبحث العلمي، ولا يزال ذلك الوهم ينمو في أذهانهم حتى يصبح بينهم وبين لغة قومهم وثقافة أمتهم وتراثها حجاب

كثيف، فإذا اعترضتهم جائحة من إغراء أو هوى، وما أكثرها، أطاحت بما بقي في نفوسهم من صلة روحية بلغتهم، فإذا بين المثقف العربي وقوميته وأمته حاجز من الكره والاحتقار وراءه حاجز من الجهل والعجز. وإذا نظرنا إلى أبعد من ذلك، رأينا أن التعليم، بغير اللغة العربية، ذو أثر خطير في اللغة نفسها، فهو يعزلها عن العلم وعن التطور والتجديد فإذا هي، بالفعل، عاجزة قاصرة، وإذا بينها وبين العلم والتطور، أي بينها وبين الحياة، بون شاسع وأمد بعيد، وعند ذلك ينظر إليها أبناؤها فيرونها جامدة صعبة القياد، متخلفة ظاهرة الفقر، فيتهمونها بالقصور والعقم وعدم الكفاءة وقلة الغَناء، فيزداد استبعادهم لها عن مجال العلم والتعليم، وهو أقصى ما يتمناه الأعداء لنا وللغتنا.

إن علينا إفهام طلابنا أنه ليس هناك انفصال بين علم نلقنهم إياه وعمل يهيئون أنفسهم له. إننا لا نعلمهم اللغة ليؤدوا بها امتحاناً ولكننا نسلحهم بأداة للبحث وأداة للتأليف، وننمي في نفوسهم روح أمتهم ونطبع عقولهم بأساليب تفكيرها.

وعلينا أن نجعل من مناهجنا صورة لمجموعة المعارف التي ينبغي أن يزوَّد بها الطلاب على أن تتمثل فيها، مع ذلك، حاجة المتعلم واهتمامه وحاجة المجتمع ومتطلبات الأمة من وراء تعلمه.

إن الربط بين ما يجب أن نعلمه وما تحتاج إليه الأمة في حاضرها ومستقبلها، وما تتطلع إليه نفوس العرب من آمال قومية ووحدوية، ليفرض علينا أن نعيد النظر في موقفنا من اللغة العربية في التعليم العالي، لنقرن بين العلم والعمل، ونقارب بين الواقع والأمل.

استخدام اللغة العربيّة في التعليم العَالي

إذا كان الباحث يعاني بعض المشقة في معالجة الموضوع الشائك المعقد، فإن من الطريف أنه يعاني مشقة أكبر في معالجة الموضوع الغني الدسم. إن صعوبة البحث الأول في فقره وجدبه وندرة مسالكه. وأما صعوبة البحث الثاني فعلى العكس من ذلك، في كثرة أفكاره وانتشار أطرافه وكثرة مساربه ومسالكه، وكذلك هي صعوبة البحث في استخدام اللغة العربية في التعليم العالي في البلاد العربية.

موضوعنا واسع الأطراف، متشعب المناحي، واضح المسلمات؛ تزدحم الأفكار فيه على الباحث حتى ليحار ماذا يذكر وماذا يدع؟ ماذا يقدم وماذا يؤخر؟ أيبدأ بالبديهيات يريد أن يبرهن عليها، ويقيم الدليل على صحتها؟ أم ينطلق إلى بيان الصلة بين الفكر واللغة، ليثبت أنه لا حياة للغة ولا تطور ولا انطلاق في الفكر ولا إبداع ما لم يكن بينهما توافق تام ووحدة كاملة تجعل من أداة التعبير آلة طيعة ومرآة صادقة لكل دقيقة من دقائق التفكير؟ أيتناول الباحث في موضوعنا جانبه الاجتماعي، فيتصدى للآثار المتبادلة بين اللغة والمجتمع أم ينساق مع شعوره القومي، فينظر إلى استخدام اللغة القومية من هذا الجانب وقد أصبح الوعي القومي، اليوم، رمزاً لهذه المرحلة من تاريخ الإنسان العربي؟

إن ذلك كله صحيح وواقعي في مجال موضوعنا، ولكن علينا ألا ننسى، قبل ذلك كله، وبعد ذلك كله، أن هناك جانباً لا يجوز أن نغفل عنه ولا أن نتجاوزه، وهو جانب الحقيقة العلمية وحكم العقل والمنطق، وهو ما لا نقبل أن نضحي به في زحمة الشعور والعاطفة والوجدان وإن كنا لا نقبل أيضاً أن نسقط هذا الجانب الخطير من حسابنا فنتحدث عن لغتنا، ومشاكل تعليمها بلسان الخبراء الأجانب. إن الموضوعية نفسها تقضي ألا ننسى انتماءنا لأمة معينة تعيش ظروفاً معينة، وتسعى من خلال ظروفها، إلى تحقيق غايات معينة. إنها تقضي ألا نتحدث بلسان الخبير الأجنبي بقدر ما نتحدث بلسان العالم العربي.

1 ـ لا بد، ونحن نتحدث عن استخدام اللغة العربية في التعليم العالي من الربط المحكم بين غاية هذا التعليم والوسائل المؤدية إليها وإلى سلامة تحقيقها، فمتى تبينت لنا تلك الوسائل دعمنا كل ما يقرب التعليم العالي في بلادنا من غايته ونبذنا كل ما يقف في سبيل ذلك من عقبات.

إن الجامعات والمعاهد العليا، في البلاد العربية، مؤسسات تعليمية غايتها خدمة المجتمعات المحلية التي أسست فيها وأنشئت من أجلها. ومن الجلي الواضح أن هذه المؤسسات تكون أقدر على تحقيق غايتها وخدمة مجتمعاتها حين تتصل بتلك المجتمعات اتصالاً لا حاجز فيه، فتقبل الطلاب الذين أنهوا دراستهم الثانوية، واللغة الأجنبية لهؤلاء لا تمكنهم، في بلد من البلدان العربية، من متابعة الدراسة العليا بغير لغتهم، وتربط الباحثين والمتخرجين بمشاكل مجتمعاتهم، ولا يتم ذلك على الوجه الأكمل إلا إذا كانت لغة التعليم، في

هذه الجامعات، هي اللغة التي يتقنها الطلاب كما يتقنها أساتذتهم، والتي يفهمها سواد الأمة.

وإذا كان طلاب الدراسة الثانوية، في بعض البلدان العربية، أقوياء في اللغة الأجنبية، بفضل المدارس الخاصة والأجنبية المؤسسة في العالم العربي؛ فإن الاتجاه الآن إلى إلغاء هذه المدارس، وقد زالت بالفعل من كثير من البلدان العربية؛ لأنها تخرِّج قلة من أبناء الأغنياء القادرين على تحمل نفقاتها، وقد خلفت أمتنا وراءها تلك المرحلة التي كان المال فيها سبيل القادرين إلى العلم والتعليم.

إن طالب الدراسة الثانوية لا يملك لغة أجنبية يقدر بها على فهم العلوم كما يقدر على ذلك بلغته، فكيف نسمح لأنفسنا أن نزوِّد هذا الطالب بمعلومات علمية، أعلى مما عرفه في دراسته الثانوية، بلغة لا يلم بها ولا يفهمها حق الفهم؟ أنطلب إليه دراسة اللغة أم التعمق في اختصاصه العلمي؟ إننا، عوضاً عن الأخذ بيده وتيسير سبيل الدراسة له، نجمع عليه صعوبتين في وقت واحد: صعوبة تعلم اللغة، أو متابعة تعلمها، وصعوبة المادة العلمية التي يتخصص فيها.

إن بين الفكر واللغة رابطة لا تنفصم، وإن الإنسان العربي ليفكر آلياً باللغة العربية ما دام في جو عربي، وإنه لمن الصعب أن يفكر الطالب بلغته ويتحدث بغيرها. إنه يضيع قسماً كبيراً من جهده في النقل والترجمة، بين فكره ولسانه. إنه مهما يبذل من جهد فلن يستطيع أن يحصِّل الكمية نفسها من الحقائق والمعلومات التي كان يمكنه تحصيلها لو قرأها بلغته. إن هذه اللغة الأجنبية التي يراد من الطلاب إتقانها ستظل، عند الكثيرين منهم، نقطة ضعف،

وستصيب الكثيرين منهم بالانفصال بين الفكر واللسان، أو «بفصام التعبير»، وهو داء يصيب الكثير من المتعلمين؛ إذ يفكر أحدهم بلغة ثم يترجم فكره إلى لغة يريد التحدث بها، فإذا هي لغة مشوهة أو ركيكة أو هي، على كل حال، ليست تعبيراً سليماً عما فكر به وأراد التعبير عنه، بقدر ما هي تعبير عن طاقة فكرية ضائعة كان الأولى أن تصرف في التأمل والإبداع العلمي عوضاً عن أن تصرف في الترجمة والمواءمة بين الفكر واللسان. وإن من شروط الإبداع الفكري أن يكون المبدع موائماً بين فكره ولسانه، وأن يكون اللسان ترجماناً آلياً للفكر، لا أن يصرف المفكر قسماً كبيراً من جهده في ترجمة فكره بلغة لسانه!!

2 ـ إن معظم الجامعات العربية تدرس الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية، وتدرس العلوم البحتة والطبية وغيرها باللغة الأجنبية، وإن التحدي، الذي يجابهه المجتمع الحديث، هو تحدي **العلم والتكنولوجيا**. فإذا أردنا أن ننقذ المجتمع العربي من التخلف ونجعله أهلاً لمجابهة التحدي فليس لنا اختيار في أن نقيم مجتمعنا على أساس من **العلم والتكنولوجيا**، وأن نوسع رقعة هذه العلوم، في بلادنا، وأن نخرجها من عزلتها التي تنحصر في قلة قليلة من المثقفين باللغة الأجنبية، ولن يكون لذلك إلا سبيل واحد هو نشر التعليم بها، في اللغة العربية. إن بلادنا في أشد الحاجة إلى طبقة من المتعلمين تملأ الفراغ الكبير بين العمال، الذين يمارسون الأعمال العلمية والتقنية بأيديهم، وبين العلماء والمهندسين والكيميائيين. إننا على يد هذه الطبقة المفقودة الآن تقريباً، نستطيع الانتقال من مرحلة الفلاحة على الثيران إلى مرحلة استخدام الآلة، ومن مرحلة

الطباعة برصف الحروف وتفكيكها إلى مرحلة الطباعة بالتصوير، ومن مرحلة التعلم بتفكيك الحروف، على ضوء الشموع، إلى مرحلة استثمار التلفزيون والسينما في التعلم والتعليم، ولن يكون لهذه الطبقة، في مجتمعنا، وجود ما دام التعليم العالي عندنا باللغة الأجنبية، وما دامت هذه الطبقة لا تستطيع أن تتحدث إلى أصحاب الأيدي العاملة إلا بلغتهم، ولا تستطيع أن تفهم عن العلماء الجامعيين بلغة العلم التي يعلمون بها.

3 ـ ثم، إنه ليست للعلم لغة واحدة مجمع عليها. فبأي لغة منها نعلِّم؟ هل نترك لكل أستاذ أن يحاضر باللغة التي تعلم بها، ونحن، الآن، نوفد إلى بلاد كثيرة متعددة اللغات؟ وهل نترك لكل طائفة من المتعلمين لغة تختص بها، فلا يكون بين علماء الأمة الواحدة، جامعة تضم أفكارهم وتجمع إنتاجهم؟ إننا بذلك نبدد جهود علمائنا، فلا يفيد بعضهم من بعض ولا يطلع بعضهم على ما يؤلف بعضهم الآخر إلا إذا كانت بينهم لغة مشتركة واحدة يصبون أفكارهم في قوالبها، ويصوغون علومهم بها. ومن هنا كانت الدعوة إلى التعليم باللغة العربية دعوة إلى توحيد الثقافة، وتركيز المجهود العلمي والفكري في العالم العربي.

4 ـ وإن الدعوة إلى استخدام اللغة القومية، في جامعاتنا، ليست بدعاً في العالم ولا هي أمر عجب، بل العكس فيها هو الأمر العجيب. إذ ليست هناك دولة من دول العالم إلا اتخذت لغتها القومية لغة للتعليم العالي في جامعاتها، باستثناء بعض الدول الأفريقية المستعمرة وبعض الدول التي كثرت فيها اللغات المحلية، فلم تعد توجد بينها لغة جامعة. فلقد عرَّبت أمتنا كل ما أخذت عن الفرس واليونان، فكان لها، في تاريخ العلم والحضارة، ذكر لم

تكن لتناله لو بقيت عالة على لغات غيرها من الأمم، ونقلت الدول الأوروبية المعاصرة إلى لغاتها ما كان في اللغة اللاتينية من العلوم، فكانت هناك كتب علمية في اللغات الفرنسية والإنكليزية والطليانية وغيرها، بل إن الاتحاد السوفييتي، اليوم، تعلم كل جمهورية من جمهورياته، في جامعاتها، بلغتها المحلية، حرصاً على أن يطلع كل مواطن مثقف على ميادين العلم والمعرفة باللغة التي يتقنها. . . بل حسبنا أن التعليم العالي في فلسطين المحتلة، الآن، إنما هو باللغة العبرية، وهو تعليم أنشئ لما لا يزيد على مليون ونصف من شعوب مختلفة وقوميات شتى. . .

إن قادة الفكر الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي كانوا قادرين على فرض اللغة الروسية الواحدة في التعليم العالي في الجمهوريات السوفييتية، ولكنهم أدركوا الضرر الذي سيعود على العلم وعلى الثقافة السوفييتية لو أبعدوا اللغات المحلية عن التعليم العالي في تلك الجامعات، وقدروا النفع الذي يعود على ثقافة أمتهم من جرّاء رفدها بمثقفين تعلموا بلغة يفهمونها حق الفهم ويستوعبون معطياتها ويملكون القدرة على العطاء الفكري بها، كما ملكوا القدرة على الأخذ والتلقي بها.

5 ـ إن التعليم حق لكل مواطن في العالم العربي، وهو حق أقرته دساتير الدول العربية، وتكفلت بإيصاله إلى أصحابه، وإننا نرى أن استخدام لغة غير لغة المواطنين العرب في تعليمهم، إنما هو سلب للحق الذي اعترفت به دساتير دولهم واحتكار لهذا الحق من قبل القلة المثقفة المتقنة للغة الأجنبية التي تستخدم في التعليم.

وإن المجتمع العربي الذي آمن بأن لا طبقية فيه ولا بورجوازية، لا يمكن أن يقبل بورجوازية الفكر واحتكار حق

التعليم. إنه مجتمع الكفاية للجميع والعدل بين الجميع، ولا كفاية ولا عدل إلا إذا يسرنا لأبناء الأمة سبيل العلم وتبنينا ديمقراطية التعليم، وهي أبرز ركن في صرح الديمقراطيات الحديثة، وإن ديمقراطية التعليم لا يمكن تحقيقها في الواقع إلا إذا كان التعليم باللغة التي يفهمها ويتقن استخدامها معظم أبناء البلاد. إن ديمقراطية التعليم، ما لم يكن التعليم باللغة القومية، شعار لا مضمون له، وصورة لا واقع لها. إن ديمقراطية التعليم وجعله حقاً، لكل مواطن، لا يعني أبداً تحرير المواطن من الأمية، والتعليم العالي ليس مستثنى من هذا الحق، وديمقراطية التعليم وكونه باللغة القومية طرفان متلازمان لا بد أن يؤدي أحدهما بالحتمية إلى الآخر، وما إصرار بعض الجامعيين على استخدام لغة لا يتقنها غيرهم إلا تعبير عن شعور بالتمييز والطبقية، وترفع عن المجتمعات التي أنشئت مؤسساتهم لخدمتها.

6 ـ وإننا لنسأل القائلين باستخدام اللغة الأجنبية في التعليم العالي: أي لغة يريدون؟ فإن كانوا يؤثرون الإنكليزية فكيف تحل مشكلة الأساتذة، والعلماء العرب الذين درسوا في بلاد لغتها فرنسية مثلاً أو روسية؟ وإذا كانت اللغة الإنكليزية، اليوم، هي أكثر اللغات انتشاراً في مجال العلم والتكنولوجيا، فهل نغيرها بعد عشر سنوات إذا نافستها لغة ثانية كالروسية؟ أم نترجم إليها كل ما ينتجه علماء الأمم، فيصبح دور العلماء العرب أن يترجموا، بين الفينة والفينة، من لغة أجنبية إلى لغة أجنبية أُخرى عوضاً عن النقل عن كل اللغات، ومن كل الأُمم إلى لغة يفهمها المتعلمون، ويتمثلون مايكتب بها فيساعدون، بذلك، على رفد الثقافة العربية بثقافات الأُمم الأُخرى، وتيسير سبل الاطلاع أمام أبناء الأُمة من

طلاب ومتعلمين وعمال وفنيين وبذلك تتسع رقعة المفيدين من العلم ويرتفع المستوى العلمي في المجتمع. ومن هذا المنطلق السليم، كانت منظمة الصحة العالمية توصي باستعمال اللغة القومية في تعليم الطب. إننا حين نستخدم لغة أجنبية في تعليمنا العالي، فإنما نيسر السبل لعدد قليل من أبنائنا للاطلاع على مصدر واحد من مصادر الثقافة والعلم، وهو المصدر الذي يتمثل في اللغة التي علمناهم بها، على حين أننا حين ننقل إلى لغتهم فنحن إنما ننقل من لغات متعددة، ولعدد أكبر بكثير من المتعلمين. إننا لا نرضى أن نقسر عيون طلابنا على منظار واحد ذي لون واحد، فإذا هم لا يطلون، من خلاله، إلا على شعاع واحد من مصدر واحد؛ وبإمكاننا أن نرفع عن عيونهم كل منظار، ونزيل من أمامهم كل حاجز، فإذا هم يطلون بأعين لغتهم التي يفهمونها على كل شعاع، بكل لون من كل مصدر.

7 ـ في جامعات الوطن العربي، اليوم، كليات كثيرة تستخدم اللغة الأجنبية، وقد مضى على إنشائها زمن ليس بالقصير. . فهل أبدع الذين درسوا فيها علومهم بغير لغتهم؟ وهل كان لهم الفضل، مثلاً، في اكتشاف الأمراض المحلية في أوطانهم؟ وهل هم الذين اكتشفوا أدوية تلك الأمراض؟ هل كان بينهم أصحاب نظريات علمية عالمية؟ ونحن نقول هذا موضحين أننا لا نريد به الطعن في طائفة معينة من العلماء أو الأساتذة الجامعيين، بل نحن نقول مثل ذلك، تماماً، عن الجامعة التي تدرس باللغة العربية إلا أننا نقول: إذا تساوت نتيجة الأُسلوبين: أُسلوب التعليم باللغة الأجنبية، وأُسلوب التعليم باللغة القومية، فالخير، لا شك أبداً، فيمن يسَّر على أكبر عدد من أبناء الأُمة سبيل الدراسة ومتابعتها وآثر لغة

قومه. فكيف ونحن نؤمن أن فرص الإبداع لدى العالِم الذي يفكر ويكتب بلغته أكثر منها عند من يفكرون بلغة ويكتبون بأخرى أو عند من أُصيبوا بالانفصام بين التفكير والتعبير.

إننا نرى في استخدام اللغة العربية في التعليم العالي شرطاً لتحقيق الإبداع العلمي، وربطاً للجامعة بالمجتمع ورفعاً للمستوى العلمي والثقافي للأمة.

8 ـ إن دعوتنا إلى استخدام اللغة العربية في التعليم العالي لا تعني، أبداً، إهمال اللغة الأجنبية، ولا تعني عدم دراستها أو التقليل من شأنها، بل هي عندنا دعوة مقترنة، دوماً، بالدعوة إلى وجوب إتقان لغة واحدة، على الأقل. وقد يكون من الواجب، في رأينا، أن تخصص كل كلية، أو معهد عال، مادة دراسية واحدة، على الأقل، تستخدم فيها اللغة الأجنبية تدريساً وامتحاناً ومصادراً.

وقد شعرت جامعة دمشق بالحاجة إلى دعم تعليم اللغات الأجنبية فأنشأت لهذه الغاية، الآن، معهداً سمته «معهد اللغات» تدرَّس فيه الإنكليزية والفرنسية، والروسية والألمانية، ولا يمنح طالب، في كلية من كليات الجامعة، درجة الإجازة (الليسانس) ما لم يكن حاصلاً على وثيقة تثبت نجاحه في امتحانات معهد اللغات.

9 ـ إن إتقان لغة أجنبية أمر، كما رأيناه، واجب ولا بد منه لمتابعة التقدم العلمي، ولكن شتان ما بين إتقان اللغة الأجنبية وبين استخدامها بديلاً عن اللغة القومية. إن في إتقان اللغة الأجنبية دعماً للثقافة ورفداً لها في كل ميدان من ميادين العلم، وأما استخدامها بديلاً فعزل للغة القومية ووأد لها. ولا نرى في الإصرار على استخدام اللغة الأجنبية دليلاً قاطعاً على

سيطرة اللغة على مشاعر المثقفين بها وميلهم إليها ودفاعهم عنها، بل لقد قامت، في بعض البلاد العربية، روابط لا يجمع بين أعضائها رابطة سوى كونهم مثقفين بلغة واحدة، وكأن اللغة الأجنبية، التي تلقوا علومهم بها، جعلتهم متميزين عن مجتمعهم وعن المثقفين بلغة أجنبية غير لغتهم بالثقافة والفكر والاتجاه في كثير من الأحيان، وهو أمر لا ننكره عليهم ولكننا نراه طبيعياً، ولذلك ندعو إلى تعليم الأجيال العربية في أوطانها بلغتها لتتم، في كنف تلك اللغة، وحدة الشعور والفكر والثقافة والاتجاه، وليست لأية وحدة سياسية قيمة أو رسوخ ما لم تكن قائمة على أساس من وحدة الشعور والفكر والثقافة.

10 ـ يرى القائلون باستخدام اللغة الأجنبية أن العلوم الطبية والتقنية في تطور دائم، مما يجعل الاعتماد على المراجع العربية أمراً غير ميسور، وهذا حق لا مرية فيه، بل إن هذه الصعوبة يعانيها الذين يتقنون اللغة الأجنبية أيضاً، ولذلك فإننا نرى أنه لا بد، أولاً، من إتقان اللغة الأجنبية ولا بد، ثانياً، من قيام تعاون عربي مشترك على إصدار دوريات ومجلات تُعْنى بالتطور العلمي المستمر، وبآخر ما تنتجه قرائح العلماء، لا عند أُمة معينة ولا في لغة واحدة، بل علماء الأمم جميعها، وفي كل اللغات. إننا نطالب بقيام مؤسسة عربية ضخمة للترجمة والنقل، ونرى في تجربة الاتحاد السوفييتي، في هذا المجال، مثالاً يحتذى. فهم يترجمون إلى اللغة الروسية كل ما يصدر في العالم من كتب ودوريات علمية، كما يترجمون أكثرها أيضاً إلى اللغات المحلية لجمهورياتهم.

11 ـ وقد يقول المعارضون في استخدام العربية، أيضاً،

إن في كل علم عدداً كبيراً من المصطلحات، وإن أكثر هذه المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن، وقد لا يكون له مقابل في لغتنا. ونحن أيضاً مع هؤلاء فيما يقولون، ولكننا نريد أن نوضح، في هذا المجال، أمراً طالما دعا إلى اللبس وقام على المغالطة.

إننا نقول، بصراحة ووضوح: إن استخدام اللغة العربية في التعليم أمر، واستعمال المصطلحات أمر آخر، ونحن لم نتعرض لموضوع المصطلحات، وإن كنا سنقترح لمشكلته الحلول، ولكننا ندعو إلى التعليم بالعربية، أي: أن يُكتب عن العلم بالعربية ونلقي دروسنا بالعربية، ولتبق المصطلحات العلمية بأسمائها الأجنبية إلى أن تعرب أو تحل مشكلتها. ليكتب المؤلفون وليقل المحاضرون: الفيتامين والهورمون والتلفزيون، وكل مصطلحات العلوم، غير المعربة بأسمائها الأجنبية، ولكن ليتكلموا عليها وليتحدثوا عنها باللغة العربية. إننا لا نطالب الآن أن يستعملوا الرائي أو المذياع الرائي، بدلاً من كلمة التلفزيون، ولكننا نطالب أن يشرحوا كيفية عمل التلفزيون باللغة العربية، وشتان ما بين الأمرين. إننا نطالب باستعمال اللغة القومية؛ لأن اللغة كيان فكري ونفسي رائع هائل، وأما المصطلحات فألفاظ أو قوالب لفظية تدل على معان معينة، وإن كانت للمصطلحات مشكلاتها الخاصة فليست هي من موضوعنا في الصميم.

إن ما ندعو إليه، اليوم، هو نفسه ما صنعه الأذكياء من علماء الأُمم حين نقلوا عن العربية وترجموا إلى لغاتهم. لقد أعوزتهم المصطلحات فلم يعربوا لغة العلم من أجل مصطلحاتها، ولكنهم مضوا في طريق النقل والترجمة حتى إذا

وقفوا أمام مصطلح عربي أخذوه، كما هو، واستعملوه بلفظه العربي، وما زالت كثير من المصطلحات العربية مستعملة في لغاهم إلى اليوم.

12 ـ إن موقف المعارضة لاستخدام العربية في التعليم العالي يعود، في نظرنا، إلى أحد أمرين: أحدهما موالاة اللغة الأجنبية التي تعلم بها المعارضون، وقد رأينا أن اللغة ذات صلة وثيقة بالفكر والنفس. وأما الأمر الثاني فهو الخوف على استخدام لغة لم يتعودوا على بذل أي جهد في ميدانها. وهم، الآن، ما داموا يعلمون العلم الذي تعلموه باللسان الذي تعلموا به في غنى عن بذل جهود جديدة تضاف إلى أعبائهم.. ونحن نطمئن هؤلاء الإخوة أن هذه الصعوبة، التي يتوهمون، لن تلازمهم إلا في خطواتهم الأُولى، وأن لدينا في القطر العربي السوري عدداً كبيراً من أساتذة الطب والعلوم والهندسة والصيدلة والزراعة ممن تعلم، في كل مراحل الدراسة، باللغة الأجنبية يلقون دروسهم بالعربية، ويؤلفون بالعربية ويحدثوننا عما لاقوا في ذلك من صعوبة، فيذكرون أنها مشقة موقتة وصعوبة مرحلية، أول الطريق، وأنهم كانوا يظنون الأمر على غير ما وجدوه.

13 ـ إذا كان كل ما قدمناه غير كاف لإقناع الزملاء المعارضين في استخدام اللغة العربية في التعليم العالي، وهو كافٍ عندنا، فلا يسعنا إلا أن نهمس في آذانهم مذكرين بالواجب القومي. إننا حين نتحدث عن التعليم فلا بد أن ننظر إليه من خلال المجتمع الذي يتم هذا التعليم فيه، ومن خلال الحاجة التي دعت إلى إيجاده، ولا بد، كذلك، أن ننظر إلى الغاية التي أنشأت الأُمة مؤسسات التعليم من أجلها.

إن علينا أن نحكم الصلة بين ما نعلمه لأبنائنا وما نعدُّهم من أجله. إن على القيادات الجامعية أن تجعل من الجامعات ومعاهد التعليم العالي العربي، مصانع لتخريج الرجال الذين استنارت بصائرهم وتأصلت شخصياتهم وتركزت دعائم انتمائهم إلى أُمتهم، ولن تكون الجامعات كذلك إلا بإقامة توازن سليم بين العلم الذي تأخذ بأسبابه والظروف الاجتماعية والقومية المصيرية التي تمر بها الأُمة. إننا نعتقد أن الواجب القومي ليفرض علينا، اليوم، أن نعمل على إعداد الباحث العربي والعالِم العربي، وأن تعليمنا يجب أن يعمل على إعداد جيل عربي مدرك لذاته، واع لواقع أُمته، مؤهل بقابلية التطور المتزن. إن تعليمنا يجب أن يستهدف القضاء على التخلف المادي مع المحافظة على روح الأُمة وشخصيتها وأصالتها وتنمية الافتخار بالانتماء إليها والاعتزاز بتراثها. أفيتحقق شيء من هذا لو أبعدنا لغتنا القومية عن العلم والتعليم؟

إن التعليم الناجح هو التعليم القادر على المواءمة بين التقدم العلمي ومتطلباته، والأوضاع التاريخية والاجتماعية والقومية للأُمة. إنه التعليم الذي يعدُّ أبناء الأُمة لمتابعة ركب العلم والمدنية دون أن يفصلهم عن مسيرة أُمتهم، ودون أن يقبل منهم موقف الحياد إزاء تراثها وحاضرها ومستقبلها. إنه التعليم الذي يعدُّ لنا علماء، ولكن في سبيل الإسهام في رفع المستوى العلمي للأُمة ومعالجة قضاياها، وإن اللغة القومية للإنسان هي الغذاء الروحي الذي ينمي شخصية الفرد في نطاق الأُمة ويحفظ الأُمة حية في كيان الفرد.

إنه لتناقض عجيب، بل مريب، أن نلقن طلابنا شرف

لغتنا، وكونها دعامة قوميتنا، وأن نتحدث لهم عن مزاياها وسعة تراثها، ثم نباعد بينهم وبينها؛ فنعزلها عنهم ونعزلهم عنها، مثبتين لهم، عملياً، أنها لغة عاجزة قاصرة لا تصلح للتعليم؟ إن الأمة التي تهمل لغتها أمة تحكم على نفسها بالتبعية الثقافية، ونحن نربأ بالقيادات الجامعية، في الوطن العربي، أن تخطط للسير نحو هذا المنزلق الخطير.

إننا نؤمن أن استخدام اللغة والتعليم بها وتعليمها، ليس مهنة أو قضية تعليمية وإنما هو، قبل ذلك، قضية وطنية ورسالة قومية.

إن أمتنا العربية، اليوم، تعيش مرحلة تفتح قومي ووعي وطني، وإن القيادات السياسية، في معظم الأقطار العربية المتحررة، تعمل على دعم هذا الوعي وتعميقه. وإننا لنعتقد أن هذه القيادات ستحقق، عاجلاً أو آجلاً، هذا المطلب القومي الحق. وإنه لمن العجيب أن تكون القيادات الجامعية، وحدها، هي المتخلفة في هذا المجال وأن يكون غيرها أسبق إلى تحقيقه منها.

14 ـ إن لنا في الجزائر أسوة حسنة، فلقد اتخذت القيادات السياسية، في هذا القطر العربي، أمراً بالتعريب وحددت لذلك زمناً معيناً، وقال المعارضون للتعريب، في الجزائر، أكثر مما يقول المعارضون عندنا، وهم، هنالك، أكثر معاناة للأمر وأقوى حجة فيه، وبدأت خطة التعريب وسارت بخطى وئيدة متزنة، وانتقلت من التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي فإلى التعليم الجامعي، وهي الآن في آخر مراحل هذا التعليم. وهكذا تم التعريب وقضي الأمر وانتصرت التجربة العربية الجزائرية بحكمة وأناة.

المصطلحات ووسائل إنجاح التعريب

لا بدَّ، في البدء، من الإلحاح على أن تعريب العلوم شيء، وتعريب المصطلحات شيء آخر، وأن الذين يحتجون لعدم إمكان استعمال العربية في التعليم العالي، بفقدان المصطلحات العربية الكافية أو صعوبة تعريب المصطلحات العلمية، يخلطون بين أمرين، لأن التعليم باللغة يعني استعمال اللغة فيما نفكر فيه، واستخدامها في المحاضرات وفي المؤلفات، وهذا يعني ترسيخ عادة لغوية، كما يعني تنمية الفكر وفسح المجال أمامه للإبداع والابتكار وسلامة المحاكمة العقلية. ولا يضير هذا الأمر أن تكون بعض المصطلحات، في أول الأمر، باللغة الأجنبية، لأن اللفظ المفرد شيء وأسلوب التفكير ولغة التدريس والكتابة شيء آخر.

إن استعمال المصطلحات الأجنبية لا يحول دون تطور العلم، على أيدي علمائنا، ولكن التعليم باللغة الأجنبية تدريساً وتأليفاً، يحد من قدرة الطلاب الفكرية ويعوق تحليقهم في عالم الإبداع. إنه، على الأقل، يستنفد قدراً كبيراً من مجهودهم الفكري الذي يصرفونه في إتقان الأُسلوب اللغوي للغة الأجنبية التي يتعلمون بها، وفي محاولة التفكير بها وتمثل عاداتها. إننا نقول، بلغة علم النفس: إن استجابة المتعلمين للغة الأُم لا يمكن أن تكون كاستجابتهم للغة أجنبية عنهم مهما أتقنوها، وإن

استجابتهم للغة أخرى غريبة عنهم لا بد أن يعتريها النقص والوهن. ونقول، بلغة حساب الاحتمالات: إن احتمال ظهور النبوغ والإبداع بين من يفكرون بلغتهم، في أسوأ تقدير، أعلى منه بين من يفكرون بغير لغتهم.

على أن هذا لا يقلل أبداً من ضرورة العمل على إيجاد المصطلح العربي وخاصة، في مجال العلوم التطبيقية، كالزراعة، والهندسة والصيدلة، فإن في ذلك إغناءً للغة وعوناً على نموها وتطويرها، ولكننا أردنا أن ننبه على أن عدم تعريب المصطلحات لا يعني بالضرورة أن العلم نفسه ينبغي أن يكون كله بلغة المصطلحات الأجنبية، ولا يدل على أنه لا تعريب في التعليم ما لم تعرب المصطلحات، بل إننا نرى أن التعريب، في مجال المحاضرات العلمية والتأليف العلمي، يجب أن يسبق تعريب المصطلحات. إن تعريب المصطلح العلمي ليس مجرد لفظ يوضح مقابل لفظ آخر، وإنما هو كلمة لا بد من أن تستعمل في سياق معين، وأن يجرب استعمالها ليثبت صلاحها أو عدمه، وأن تعريب العلوم هو الذي يستدعي تعريب المصطلحات وإيجادها، والتمرس والاستعمال، هو وحده، الذي يهدينا إلى المصطلح الملائم، لأن الألفاظ اللغوية لا تفرض فرضاً ولكن استعمالها في الكلام هو الذي يرسخها ويعطيها دلالتها المحكمة. ولعل مما يوضح ذلك، عملياً، تجربة كلية الطب، وكلية طب الأسنان في جامعة دمشق. فقد أُنشئ المعهد الطبي بدمشق عام 1919، وتولى التدريس فيه أطباء تلقوا علومهم باللغة التركية وعلموا باللغة العربية تدريساً وتأليفاً، واستمر الأمر، على ذلك، حتى أصبح بين أيدينا نحو 100

مجلد في الطب باللغة العربية، ولم تكن المصطلحات الأجنبية عائقاً دون تعريب الطب. وألقيت المحاضرات في كلية طب الأسنان أيضاً باللغة العربية، وعلى غير مثال سابق، لأن التدريس في مدرسة طب الأسنان، التي سبق إنشاؤها في الجامعة الأميركية، كان باللغة الإنكليزية، كما كان في مدرسة طب الأسنان الفرنسية، في بيروت، باللغة الإفرنسية، واستطاعت كلية طب الأسنان في جامعة دمشق أن تشق طريقها باللغة العربية تدريساً وتأليفاً.

يقول الدكتور عزة مريدن: «أنشئ المعهد الطبي العربي بدمشق عام 1919، واختير أساتذته من أساطين الأطباء، آنذاك، وتشاء المصادفة أن يكون جلهم ممن درسوا الطب باللغة التركية، وكان عليهم، جميعاً، أن ينفذوا، برغبة ووطنية، مشيئة القومية العربية التي تلزمهم تعليم الطب بلغة أهل البلاد، فشمروا عن ساعد الجد، ونبشوا بطون الكتب القديمة، ونفذوا إلى صميم المعاجم المختلفة، وأخذوا يضعون المصطلحات الطبية، وما هي إلا بضع سنين حتى كان كل أُستاذ قد وضع مؤلفاً في الفرع الذي وُسد أمره إليه. والآن، [عام 1958]، وقد مضى على تأسيس كلية الطب بدمشق ما يقرب من أربعين عاماً، نجد أن أساتذة هذه الكلية قد أغنوا خزانة الكتب العربية بما لا يقل عن ثمانين مجلداً في فروع الطب المختلفة»[1]. وكذلك حذت كلية طب الأسنان حذو كلية الطب، وقام أساتذتها بالترجمة إلى العربية والتأليف بها حتى أصبحت

(1) من محاضرة ألقاها في دار الحكمة بالقاهرة عام 1958.

الكتب، التي وضعت في هذه الكلية، وتتناول موضوعات: جراحة الفم، وتعويض الأسنان والتيجان والجسور والمداواة والقلع وأمراض الأسنان، كلها باللغة العربية، بل لقد انصرف بعض الجامعيين المختصين في هذه الكلية إلى وضع المصطلحات وتعريبها، فظهر معجم مصطلحات تعويض الأسنان للدكتور ميشيل الخوري، وفيه نحو 1500 مصطلح عربي مع ما يقابلها من مصطلحات إنكليزية وفرنسية، وهو يرجو أن ينجز، في خلال السنتين القادمتين، معجماً آخر يتناول جميع فروع طب الأسنان، فتزيد مصطلحاته على 10 آلاف مصطلح باللغات الثلاث: العربية والإنكليزية والفرنسية[1]، ولو أن أساتيذ هذه الكليات لم يباشروا التعليم بالعربية، حتى يتم تعريب المصطلحات، لما كانت العربية لغة التدريس عندهم الآن ولظلوا ينتظرون.

وكذلك فعلت أُوروبا حين نقلت علوم العرب إلى لغاتها المختلفة، فلم تنتظر وضع المصطلحات وإنما ترجمت العلوم إلى لغاتها، وما لم تجد له مقابلاً في لغاتها أخذته عربياً، وما زال عدد كبير من المصطلحات العربية مستعملاً في لغاتها الحية إلى اليوم.

إن تعريب التعليم شيء، ووضع المصطلح أو ترجمته أو تعريبه، شيء آخر، وليس التعريب قائماً، بالضرورة، على تعريب المصطلح ولا متوقفاً عليه.

إن عدم معرفتي لاسم مادة ما باللغة العربية لا يمنعني من الحديث عنها بهذه اللغة، ولا يحول دون الكتابة عنها ووصفها

---

(1) انظر مجلة طب الأسنان السورية، السنة الثامنة، العدد الثالث، ص16.

وذكر خصائصها. إننا قادرون على أن نضع مؤلفاً كاملاً بالعربية حول مادة لا نعرف لها اسماً بهذه اللغة. لنفرض أننا لم نجد لكلمة الـ«تلفزيون» ولا لكلمة الـ«راديو» بديلاً عربياً، فهل يعني هذا أنه يجب أن نكتب عن هذين الجهازين ونشرح عملهما باللغة الأجنبية؟!

ألا نرى أن العلم، في هذا العصر، لم يعد ملكاً للقلة المثقفة، وأن المستحدثات العلمية والاختراعات الجديدة ليست للذين استحدثوها أو اخترعوها، وإنما هي للمشتغلين بها والمستثمرين لها من مالكين وعمال أكثر مما هي للعلماء الذين أنتجوها؟ أفنفرض على الجميع لغة العالِم الذي اخترع الآلة وأنتجها حتى في الحديث عنها إذا احتوى هذا الحديث مصطلحاً أو أكثر بلغة العالِم الذي أنتجها؟!

ألا نؤمن أن اللغة التي تستوعب العلوم هي اللغة التي تحيا، وأن اللغة التي تنعزل عن العلم لغة مصيرها الإهمال والاضمحلال؟ ولماذا نحكم على العربية بهذا الحكم القاسي، ونقودها إلى ذلك المصير السيء وهي، في نفسها كما أثبتت، قابلة للتطور قادرة على الحياة. إنه يجب ألا نحمِّل لغتنا وزر أبنائها، ولا نلقي عليها تبعة عجز العاجزين أو إخفاق المعربين أو عدم توفيق بعض واضعي المصطلحات.

لقد كان بعض العسكريين في المغرب العربي يظنون أن اللغة العربية لا تستطيع استيعاب ألفاظهم، ولكن ظنونهم خابت حين أثبت عكسها المعجم العسكري ثم المعجم العسكري الموحد. وقد بلغ عدد المعجمات العسكرية المطبوعة، حتى الآن، عشرة

معجمات ما بين إنكليزية ـ عربية، وفرنسية ـ عربية[1].

لقد أثبت الواقع أن تعريب المصطلحات يأتي ثانياً بعد تعريب التعليم، أثبتت ذلك تجربة التعريب في جامعة دمشق، كما أكدته تجارب البلاد العربية التي تمر، الآن، في تجربة التعليم.

أما اللغة العربية نفسها فقد أثبتت أنها لغة قادرة على التعبير عن شتى فنون العلم، وأنها استوعبت كل ما نقل إليها من علوم الأمم الأخرى في الفلسفة والمنطق، وفي الطب والصيدلة والكيمياء والرياضيات، وإنه لينبغي علينا، الآن، أن نثبت أن وحدة اللغة العربية، من المحيط إلى الخليج، ليست مقتصرة على جانب الأدب والشعر والغناء، وأن أم كلثوم ليست، وحدها، رمز هذه الوحدة وإنما تقوم إلى جانبها وحدة اللغة في الكتاب العلمي العربي، وقد رأينا أن الاتحاد السوفييتي ينقل كل ما يصدر من كتب ونشرات علمية، بلغات العالم، إلى لغات جمهورياته المختلفة موفقاً في ذلك بين دعم اللغات القومية والإفادة مما تنتجه اللغات الأُخرى، بل إن اليهود ليفعلون ذلك في فلسطين المحتلة. يقول الدكتور بشير العظمة في مجلة المعرفة: «في إسرائيل مليون ونصف من قوميات عديدة وعلوم عبرية، والعرب في أرضهم، من المحيط إلى الخليج، يتكلم الجامعيون منهم، الذين تعهدتهم معاهد أجنبية أو وطنية، جميع لغات العالم إلا لغتهم... فهم يترجمون إليها أفكارهم وكثيراً ما يفشلون».

---

(1) انظر مجلّة مجمع اللغة العربية، المجلد: 46 ج3 ص514.

ولقد استطاع عدد من علمائنا المخلصين، في هذا العصر، أن يثبتوا قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم، فوضعوا عدداً من الكتب العلمية تناولت شتى الموضوعات، وقدمت لنا أمثلة لقدرة العربية على التعبير عن دقائق العلوم، كما أن طائفة من هؤلاء العلماء أصابت نصيباً جيداً من التوفيق في وضع المصطلحات العربية، وتعريب المصطلحات الأجنبية. ونحن نذكر، بكثير من الفخر والاعتزاز، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر، بعض هذه الكتب العلمية العربية القيمة:

1 ـ كتاب: الجراثيم الطفيلية، للدكتور أحمد حمدي الخياط.

2 ـ كتاب: الكيمياء الحيوية، للدكتور إسماعيل عزة، والدكتور محمد هيثم الخياط.

3 ـ كتاب: الوجيز في الفسيولوجيا النباتية (العامة والتطبيقية)، ويقع في جزأين يشتملان على مئة وألف من الصفحات، للدكتور محمد سعيد الحفار.

4 ـ كتاب: علم النبات العام، للأساتذة: الدكتور أحمد محمد مجاهد، والدكتور مصطفى عبد العزيز، والدكتور أحمد الباز يونس، والدكتور عبد الرحمن أمين.

5 ـ كتاب: النبات، للدكتور عباس فتحي الهلالي.

6 ـ كتاب: علم النسج والتشريح المقارن، وضعه الدكتور محمد أبو حرب.

7 ـ كتاب: الأغذية وتحليلها، للدكتور كرم عودة.

8 ـ كتاب: مبادئ تربية الحيوان والدواجن، للدكتور أسامة العوا.

9 ـ كتاب: الكيمياء العامة الزراعية، للدكتور نزار أحمد.

10 ـ كتاب: علم تشخيص العقاقير: للدكتور زهير البابا.

11 ـ كتاب: فسيولوجيا النبات، اشترك في ترجمته الدكتور محمد جميل عبد الحافظ، والدكتور أحمد أبو ريا، والدكتور إسماعيل عبد العزيز ندا، والدكتور محمد إبراهيم نجيب، والدكتور أحمد إبراهيم خليل.

إلى عشرات من أمثلة هذه الكتب، في علوم الطب والصيدلة والكيمياء والحيوان والنبات.

وإن هذه الكتب لتزداد ـ من وجهة النظر التي تعنينا هنا ـ أهمية وتزيد مثالنا وضوحاً وفكرتنا تأكيداً إذا علمنا أن معظم مصادرها أجنبية، وأنها امتلأت بالمصطلحات العلمية الأجنبية والعربية، وقد أُلحقت بنهاياتها قوائم حافلة بمئات المصطلحات العلمية المعربة.

وهكذا، فإن الزعم بأن اللغة العربية لغة تصلح للعلوم الإنسانية ولا تصلح للعلوم الطبيعية زعم عجيب، لأن كل لغة صالحة للإنتاج الفكري، أياً كان نوعه، فهي لغة قادرة على التعبير والاستيعاب، وكذلك كانت لغتنا العربية في عصور الترجمة والنقل، ولكن المترجمين والناقلين والمعربين، في تلك العصور، لم يكونوا كنظرائهم اليوم، زد على ذلك أن لتعريب العلوم جانباً اجتماعياً خطيراً يجب ألا نهمله ولا نغفل عنه، لأن عزل اللغة العربية عن تلك العلوم يعني إبقاء المجتمع العربي نفسه بعيداً عنها، وهذا جانب من القول يحتاج منا إلى مزيد من البيان.

إن المجتمع الذي يقصر لغته على الأدب وما إليه،

ويبعدها عن مجال العلم والتقنية، مجتمع يبعد نفسه عن هذا المجال، ذلك أن تعريب العلوم يقتضي إيجاد الصيغ العلمية في اللغة، وشتان ما بين هذه الصيغ وآثارها في الفكر والسلوك الإنساني وآثار التعبيرات الأدبية، وما تقوم عليه وتستند إليه من إثارة للعواطف والانفعالات الإنسانية. وواضح أن المجتمع العربي، اليوم، في أمس الحاجة إلى أن يحيا الفكر العلمي ويتصرف بسلوك بعيد عن العاطفة والانفعال، وأن يخطط، في كل جانب من جوانب حياته، تخطيطاً علمياً قائماً على منهج علمي منظم، ولن يتسنى له ذلك إلا إذا اعتمد الصيغ العلمية البعيدة عن العواطف والانفعالات. يقول الدكتور نزار الزين: «بالقدر الذي ندخل فيه صيغاً عن موضوعات العلوم الإنسانية، وبالقدر الذي نرسخ صيغاً علمية بحتة، بالقدر الذي ننظم ذهننا تنظيماً جديداً ونتمكن من إدراك إنسانيتنا وعالم الطبيعة وما حققه الإنسان فيه إدراكاً علمياً. إننا في عدم سعينا لتعريب العلوم نترك مجتمعنا يتجه ذهنياً وجهة الصيغ الأدبية العاطفية الإنسانية أحياناً كثيرة، وينعكس ذلك على سلوكنا الذي يبرز بشكل ارتجالي، في معظم الأحوال، وفي منطقنا الذي يغلب عليه الأُسلوب الخطابي والمثير للمشاعر حتى في الأُمور المصيرية، ويؤدي ذلك إلى استجابات انفعالية من العسير أن تنظم وتكون منتجة ذات فعالية بالنسبة للواقع. وكلما استطعنا أن ندخل الصيغ العلمية في لغتنا وإلى مجتمعنا استطعنا أن نؤثر على الذهن في مجتمعنا ونوجهه نحو إدراك علمي للواقع. وإذا كانت الصيغ العلمية، في اللغة، نتيجة تفاعل الذهن مع ظاهرات الواقع وأسلوب البحث المستخدم، وإذا كان إدخال

الصيغ العلمية، في لغة مجتمعنا، يؤثر على نشاط ذهننا وإدراكنا فإن سلوكنا يتأثر بفعل إدراكنا الجديد، ويستجيب للوضعيات المختلفة (Situations) متأثراً بأسلوب الصيغ العلمية التي تركزت في اللغة ويتحول السلوك تدريجياً إلى استجابات أكثر واقعية، وأكثر رصانة»[1]. ويقول: «وإذا كان علم اللسان يرفض، الآن، اعتبار اللغة مجرد أداة لا تتفاعل مع الفكر والحياة، فإنه يرفض، أيضاً، ادعاء قصور اللغة عن استيعاب العلوم خصوصاً اللغة التي أنجبت فكرياً. يقول بنيفنست، في هذا الصدد: «إنه لمن المعترف به أن التفكير، إذا ما أُخضع لمقتضيات الطرق العلمية، يتخذ الخطوات نفسها حيثما كان وبأي لغة اختير وصف التجربة». واللغة العربية ليست قاصرة عن الاستيعاب، فقد أنتجت في مجال الدين والفلسفة والعلوم والرياضيات. وإذا كان إدخال الصيغ العلمية الحديثة، يؤدي إلى رؤية جديدة للواقع وتحول للذهنية والسلوك من جلبة الانفعالات إلى روية الأسلوب العلمي وفعاليته في التنظيم والإنتاج، فإن تعريب التعليم ضرورة اجتماعية لا ريب في ذلك»[2].

على أن هذا الإصرار، على تعريب التعليم العالي، لا يعني أبداً قطع الصلة باللغات الأجنبية ولا يعني إهمالها، بل نحن نرى أن هذا التعليم لا يؤتي ثماره المرجوة إلا إذا رافقه إلمام جيد

---

(1) من بحث جيد، للدكتور نزار الزين، رئيس قسم علم النفس في الجامعة اللبنانية، ألقاه في ندوة تعريب التعليم العالي في لبنان، أيار، 1972.

(2) المرجع نفسه.

بتلك اللغات، وأنه لا بد من العناية بدراسة اللغات الأجنبية في المرحلة الثانوية، ثم متابعة العناية بها في المرحلة الجامعية.

كما نرى أن مما يمهد السبيل لإنجاح التعريب عامة، وتعريب المصطلحات خاصة:

1 ـ أن تقف القيادات التعليمية والجامعية والسياسية، أيضاً، موقفاً حاسماً بإقرار التعريب ومباشرة التعليم باللغة العربية، ورفض المواقف السلبية التي يقفها المتعصبون للغات الأجنبية ويقفها، معهم، أولئك الذين يرغبون في التدريس باللغة التي درسوا بها إيثاراً للراحة على بذل الجهد في خدمة لغتهم القومية، وبذلك تتاح الفرصة لانطلاق الشباب العرب المثقفين الذين لم تسلخهم ثقافتهم عن أمتهم، بل رسخت إيمانهم بها وجعلتهم أكثر وعياً لأبعاد قضية أمتهم ثقافياً وسياسياً وقومياً واجتماعياً.

2 ـ أن نفصل بين تعريب التعليم وتعريب المصطلحات. فتعريب التعليم أمر ممكن وواجب، وليس قائماً على تعريب المصطلحات ولا متوقفاً عليه، بل هو سابق له معين عليه.

3 ـ أن نعمل على إحياء التراث العلمي العربي. ففي كتب الأقدمين آلاف الألفاظ التي نحتاج إليها، كما دلت على ذلك الكتب العلمية التي تم نشرها.

4 ـ إشراك أكبر عدد من الاختصاصيين، في كل العلوم، في المجامع اللغوية وهيئات التعريب.

5 ـ إنشاء جمعيات علمية عربية واتحادات علمية عربية تُعنى بجميع فنون العلم والمعرفة.

6 ـ إنشاء مؤسسة عربية تتولى إصدار مجلات ونشرات

دورية علمية باللغة العربية، مع ملاحق تتضمن خلاصة الأبحاث باللغة الأجنبية، ويسهم في الكتابة فيها تأليفاً وترجمةً علماء العالم العربي، من كل الاختصاصات وفي كل الأقطار.

7 ـ التخلي عن تعريب المصطلحات على النطاق الفردي وعن التعصب لهذا المصطلح أو ذاك، فقد رأينا الكثيرين من المعربين يضعون في مقابل المصطلحات الأجنبية بديلاً عربياً يختارونه بحسب فهمهم أو رأيهم أو ثقافتهم أو ذوقهم، ثم يتعصبون له ولا يقبلون به بديلاً، حتى أصبح لبعض المصطلحات الأجنبية عدد من المصطلحات المعربة تختلف باختلاف الأقطار العربية، بل تختلف، أحياناً، باختلاف المعربين في القطر الواحد. ولعلنا نستطيع التخلص من هذا التعريب الفردي إذا طلبنا إلى المؤلفين والمعربين والمترجمين أن يبعثوا باقتراحاتهم إلى هيئة لغوية ذات فعالية، في الوطن العربي كله، لتتولى إقرار ما تراه مناسباً من المصطلحات وتنشره في العالم العربي.

8 ـ من المستحسن، في هذه المرحلة، أن تذكر المصطلحات الأجنبية بلغاتها الأصلية، إلى جانب ما نختاره من المصطلحات العربية الدالة عليها والمعبرة عنها.

9 ـ لا بد، قبل ذلك كله، من قناعة أساتيذ التعليم العالي بوجوب التعريب وعزمهم على بذل الجهد لنجاحه.

10 ـ أن تستثمر وسائل الإعلام في العالم العربي وتسهم، بدورها، في نشر اللغة العربية وتعميم الألفاظ المعربة، وذلك، بالتعاون مع الهيئات والمؤسسات المختصة، كالمجامع اللغوية، والجامعات.

شبُهاتٌ وَرُدُود

رأينا، فيما سبق، أن تعريب التعليم شيء وتعريب المصطلح العلمي شيء آخر. ورأينا أن تجربة التعريب نجحت قديماً ونجحت ثانية في العصر الحديث. نجحت حديثاً في مصر والشام، فقد كانت العلوم الإنسانية في مصر تدرس، في مطلع هذا القرن، باللغة الإنكليزية، وكذلك كانت تدرس بالإنكليزية أيضاً علوم الرياضيات والفيزياء والحيوان والنبات، ثم عربت هذه العلوم ونجح التعريب وسكت المعارضون. ولو لم تعرب لظلوا حيث هم على حججهم ومعارضتهم.

وأما الأقطار العربية التي عربت فيها العلوم الإنسانية، وظلت العلوم الطبيعية فيها تدرس باللغة الأجنبية، فزعم المعارضون للتعريب أن هذه العلوم الطبيعية غير العلوم الإنسانية، لأنها علوم مستحدثة عندنا وهي أجنبية المصادر لا تتسع لها لغتنا!! ويرد على هؤلاء المعارضين نجاح التعريب قديماً، فلقد وسعت العربية في عصر الترجمة المبكر علوم عصرها وألف بها الكثيرون من علمائنا، من أمثال: البيروني وابن الهيثم.

وأما الزعم بأن هذه العلوم، اليوم، قد اتسعت عما كانت عليه في تلك العصور، فنرد عليه بأن علوم تلك العصور كانت

هي أيضاً أوسع من لغتهم، ولكن الهمة والإخلاص جعلا اللغة تتسع وترقى حتى استوعبت ما أرادوا لها أن تستوعب. ونحن ننسى، اليوم، أن علينا واجباً لغوياً لا يقل شأناً عن الواجب العلمي، وأن علينا أن نوسع لغتنا ونخضعها لما نريد منها اليوم، فما من جيل من الأجيال تسلم لغته خلقاً كاملاً أو ورثها واسعة مهيئة لكل ما يحب ويرضى.

لقد أثبت عصر الترجمة الزاهر، أيام العباسيين، أن اللغة العربية لم تعجز عن التعبير عما ترجم إليها، ولم تنؤ بنقل الثقافات والعلوم الأجنبية، كما أثبت التعريب، في ذلك العصر، أن تعريب المصطلح الأجنبي ليس حجة تحول دون التعريب كله. إن التخلف في الحديث والكتابة في ميادين العلوم المختلفة باللغة العربية مع استعمال المصطلحات الأجنبية خير من اتخاذ اللغة الأجنبية لغة للحديث والتأليف في تلك العلوم، وإن تعريب العلوم هو الطريق إلى تعريب مصطلحاتها.

فإذا أردنا للمجتمع العربي، لا لقلة من أبنائه، أن يعيش عصر العلم الذي تعيشه الأمم الأخرى، وأن يظل، إلى ذلك، عربي الشخصية والانتماء فلا مندوحة لنا عن تعريب التعليم العالي، والتخطيط المتئد لإنجاح هذا التعريب في جميع المعاهد العليا والكليات الجامعية ومراكز البحث العلمي.

ولا بد، بالإضافة إلى الشُبه التي أوردناها، فيما سبق، أن نتعرض لبعض الشُبه الأخرى التي يثيرها من لا يرون رأينا في التعريب، بل يرون أن التعليم العالي يجب أن تستخدم فيه اللغة الأجنبية وأن التعريب يقف حائلاً دون تقدمنا العلمي.

فمن ذلك، مثلاً، ما يراه بعضهم من أن الطلاب، عندنا، يبلغون السنة الأُولى من الجامعة دون أن يكونوا ملمين بلغة أجنبية يستطيعون متابعة دراساتهم بالاعتماد عليها.

والحق أن هذه الحجة ليست، في الواقع، حجة قوية ضد التعريب، بل هي، عندنا، حجة لا تذكر إلا لترفض، لأن الضعف في اللغة الأجنبية، لدى طلابنا، أمر يجب التغلب عليه ما أمكن، وإتقان لغة أجنبية، في نظرنا، ضرورة لا تقل عن ضرورة التعريب، وأن إتقان الطلاب العرب للغة أجنبية ـ أية لغة ـ إتقاناً جيداً لا يعني أبداً أنه يغنينا عن التعريب ويعفينا من تعليمهم باللغة العربية.

ويقول أحد الذين لا يرون الأخذ بمبدأ التعريب، في معرض تفنيده لحجج الداعين إلى التعريب: «إن الحجة الثانية ـ من حجج المطالبين بالتعريب ـ سياسية، وهي أن اللغة الأجنبية في التعليم العالي هي المظهر الثقافي للاستعمار الجديد، وأن المتأثرين، بالغ التأثر، بالثقافة الأجنبية يصبحون خيرة عملاء الاستعمار الاقتصادي الذي تقوم به الدول الرأسمالية».

والحق أنه ليس كل من أتقن لغة قوم أصبح، بالضرورة، عميلاً لاستعمارهم الاقتصادي أو غير الاقتصادي، ولكنه إذا أتقن المرء لغة قوم وتأثر بالغ التأثر بثقافتهم، فلا بد أن يكون هواه مع ثقافة تلك الأُمة، ولا بد أن ينظر إلى الإنسان وإلى المجتمع وإلى الكون من خلال مفاهيم تلك الأُمة التي صبتها في ألفاظ لغتها وتعبيراتها. يقول آلار، رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة القديس يوسف ببيروت: «إذا اعتبرنا لغة كاللغة الفرنسية، نلحظ أنها نشأت في مجتمع مسيحي، وأن

معظم من ألفوا بها تأثروا تأثراً متفاوتاً ـ وأحياناً دون أن يدركوا ذلك ـ بالنظرة المسيحية إلى الإنسان والكون وما يرتبط بهما من قيم».

وهذا رأي صحيح يدعو إلى التفكير العميق في قضية التعريب والإصرار على ألا يكون التعليم، في الوطن العربي، بلغة غير العربية. إن تفكير المثقف وفق الأساليب الفكرية وفي ضوء المفاهيم الخاصة بأصحاب اللغة التي تثقف بها، هو نفسه الأمر الذي يدعو إلى التعليم باللغة القومية، وإن الذين ينادون بالتخلي عن اللغة العربية، ويصرون على استخدام اللغة الأجنبية، هم أنفسهم أكبر دليل لنا على ولاء المثقف للثقافة التي يتعلم بلغتها، ونحن إنما نريد جيلاً عربياً موالياً لأمته بفكره وشعوره، مرتبطاً بها بقيمه ومثله.

وأما القول بأن التعريب سيؤدي إلى تخلف الطلاب وتدني المستوى العلمي، فهو، إذا صح، فلن يكون ما يؤدي إليه من التخلف تخلفاً دائماً، ولكنه مؤقت ينتهي بانتهاء المرحلة الأولى للتعريب، وأما متى أصبح التعريب مرحلة تاريخية، وصارت العلوم تدرس بالعربية فلن يكون هناك فرق، من حيث المستوى، بين درس يلقى باللغة الأجنبية وآخر يلقى باللغة العربية.

وأما القول: «إن اللغة العربية الفصحى ليست (ديمقراطية)، وإنها في حاجة إلى إصلاح جذري، وإن التعليم بها الآن ينقل الطلاب المثقفين بعيداً عن عالم الشعب الذي يكاد يكون محصوراً باللغة العامية»، فالواقع أنه قول ينطوي على المبالغة! وحسبنا أن نسأل: ألا يقرأ المواطن العربي، غير

المثقف، صحيفة عربية فيفهم عنها، كما يفهم الحديث الموجه إليه بالعامية؟ ألا يستمع ابن الشعب إلى نشرات الأخبار في الإذاعة و.. التلفزيون، وإلى الأحاديث الثقافية والندوات، فيفهم عنها كما يفهم لغته الدارجة؟ وإلى متى يظل الجهل متحكماً بمقياسه؟ ومتى كان الخبراء يقدمون نصائحهم إلى الجامعات من خلال الطبقة غير المثقفة؟ لِمَ نقول: إن هذه اللغة إذا كانت فصيحة الألفاظ صحيحة التراكيب، فإنها تكون بعيدة عن الشعب في غمرة نهضة تعليمية، وإن ظلَّ الأمية أخذ ينحسر ويتقلص؟ ثم متى كانت صعوبة اللغة داعية إلى تركها في الجامعات؟ حسب القائل، بهذا الرأي، أن يقرأ عن لغة الصين ولغة اليابان ليرى صعوبة كل من هاتين اللغتين، ويرى - مع ذلك - تمسك كل من الشعبين الواعيين بلغته. يقولون: «إن القارئ العادي يحتاج، لكي يتمكن من قراءة جريدة باللغة اليابانية، إلى معرفة ألف وثمانمائة وخمسين حرفاً... وإن هذا العدد ليزداد كلما ازدادت ثقافة الإنسان واتسعت معرفته. ومع ذلك فقد أصرت اليابان على لغتها وأشكال حروفها، بل صور حروفها لأنها، كما قالت لجانهم التربوية: تراث الأجداد وعنوان الشخصية، والثقافة اليابانية». لقد ذكر ذلك الأديب الدكتور عبد السلام العجيلي، في كلمة له نشرتها الأسبوع العربي التي تصدر في بيروت، ثم قال: «تذكرت عندئذ أولئك الصائحين عندنا، في كل مناسبة، بأن تخلفنا، نحن العرب، ناجم عن أن حروفنا تكتب من اليمين إلى الشمال، أو أنها متعددة الأشكال للحرف الواحد، أو أنها تفتقد حروف الأصوات، وتذكرت دعوتهم إلى أن تُتخذ الحروف اللاتينية

لأننا، باتخاذها، سنسابق الصواريخ في تقدمنا في العلم ونحو المدنية...». ثم قال: «إن التخلف في الهمة لا في اللغة ولا في طريقة كتابتها، وفي النفس لا في الأداة التي تتخذها النفس للتعبير عما تريد التعبير عنه...».

ومن الشبهات، التي ينبغي التعرض لها أيضاً، ما أشار إليه بعض الممانعين للتعريب من أن هناك مواقف متناقضة من قضية التعريب، لأن معظم مؤيدي التعريب هم من المسلمين في حين أن معظم معارضيه هم من المسيحيين مما يجعلنا ندرك ـ على حد قوله ـ أن وراء موقف كلتا الطائفتين اعتبارات طائفية ونزعات تعصبية. ويقول صاحب هذا الرأي: «إن اللغة والثقافة العربيتين تتسمان بالطابع الإسلامي، إنهما تعبران، مباشرة ودون صعوبة، عن النظرة الإسلامية إلى الإنسان والكون وما يرتبط بهما من قيم. ولذا فإنه من الطبيعي أن يرتاح المسلم إلى هذه اللغة وهذه الثقافة أكثر من ارتياح المسيحي إليهما»!!. وينتهي صاحب هذا القول إلى أن المسيحي يرتاح إلى اللغة الفرنسية لأنها نشأت في مجتمع مسيحي.

وليس لنا، أولاً، في مقابل هذه الصراحة إلا أن نسأل أيضاً بصراحة: ألمجرد ارتباط اللغة العربية بالإسلام ينبغي أن يتنكر لها العرب غير المسلمين؟ وإذا وقف العرب غير المسلمين من التاريخ العربي لارتباطه بالإسلام موقفهم هذا من اللغة، فماذا يبقى لهم من التاريخ العربي والحضارة العربية والتراث العربي؟

إننا نعتقد أن العربية لغة يلتقي على حبها المسلم والمسيحي، لأنها في عقيدة الأول لغة كتابه المنزل، وعند

الثاني لغة قومه. فإذاً أنت، اليوم، تجعل العرب عربين: عرباً، لأن لغتهم العربية أو لغتهم عربية لأنهم مسلمون، وعرباً لغتهم فرنسية لأنهم مسيحيون!!

وهنا أمر أُحب أن أسأل عنه أيضاً: هل الفرنسية هي اللغة الأصلية للإنجيل؟ أليست لغة ترجم إليها الإنجيل كما ترجم إلى غيرها؟ فلِمَ لا تكون للإنجيل نسخة عربية مصوغة وفق الأساليب العربية الراقية بفصاحتها وبلاغتها، لينشأ المسيحيون في جو كتابهم العربي، وأما قضية اختلاف المفاهيم فهذا أمر ليس في يدي ولا في يدك. إن ما يفهمه كل من المسلم والمسيحي، من الكلمات ذات الدلالات الدينية، لا يفهمه الآخر الذي لا يفهم من هذه الألفاظ سوى معانيها اللغوية، وإن لكثير من الألفاظ دلالات دينية غير دلالاتها اللغوية الوضعية، ولا علاقة لهذه الألفاظ وأمثالها في قضية التعريب.

ثم هل يريد أصحاب هذا الرأي أن ينظر المثقفون باللغة الفرنسية إلى كل قضية من خلال المفاهيم الفرنسية لتكون لهم إزاءها استجابة خاصة، بل شاذة، بين استجابات العالم العربي؟ ألم يعلم هؤلاء أن اللغة هي الشكل الذي ينظر المرء إلى العالم من خلاله؟ وهل نسوا أن ارتباط المرء بلغته الأم لا يمكن أن يعدله ارتباطه بأية لغة أخرى، لأن بين المتحدث ولغته الأم صلة وشيجة مشحونة بصلته بقومه وتاريخه وحضارة أمته؟؟ وأن هذه الصلة، بين المتحدث ولغته الأم، هي التي تحدد تصرف المرء وتوجه سلوكه وتفرض عليه اتخاذ موقف معين. يقول الدكتور نزار الزين: «إن اللغة تعبير عن رؤية للواقع تكونت، عبر التاريخ، فحملت في حناياها تجارب مجتمع وصيغ استجاباته

ونظمه، ولذلك، فإن الانقطاع عن اللغة الأُم هو انقطاع عن الجذور التاريخية، وتنكر لنظم المجتمع، وهروب من الهوية الوطنية... وفي اعتقادنا أن مسألة الإهمال للغة الأُم أو التنكر لها، يزولان حين نقر بهويتنا ولا نخجل بها ونعمل على تعريب المعارف، والعلوم التي تدرس بلغات أجنبية في جامعاتنا الوطنية، وإلا فإن تنكرنا للغة الأم يؤدي إلى اجتثاث شخصيتنا من مسارها التاريخي ومن ثقافة مجتمعنا، فنصبح بدون هوية وننقطع عن العالم العربي وننعزل عنه، وقد يعتقد البعض أن في ذلك كسباً ولكنه، في الواقع، ضياع لشخصيتنا»[1].

إن التنازل عن لغة الأُمة تنازل عن جزء من عقلها، وكما يقول همبولت Humboldt: «إن لسان أُمة جزء من عقليتها، وإن لغة شعب ما هي إلا روحه، كما أن روح الشعب لغته».

لقد أصبح معروفاً، عند دارسي اللغات، أن اللغة يكمن فيها تصور أصحابها للعالم، وأنها تحمل معها القدرة على تبديل عقليتهم. إن اللغة صورة مجسدة للسلوك الفكري، وفي الوقت نفسه أداة لتوضيح هذا السلوك والتأثير فيه، وإن عالم اللغة وعالم الفكر عالمان متداخلان ومتكاملان، حتى إن عدداً من علماء اللغة يرون أن الإنسان لا يستطيع التعبير الكامل والدقيق عن فكره إلا بلغته، وإن أي تعبير مستعار، من لغة أخرى، لا يستطيع أن يبلغ الغاية كمالاً ودقة في التعبير.

لقد تجاوز الكثيرون من علماء اللغة التعريف القائل: إن

---

(1) من بحث جيد للدكتور نزار الزين ألقاه في ندوة تعريب التعليم العالي في لبنان، أيار 1972.

اللغة وسيلة للتعبير عن الأفكار، أو إنها مجرد آلة يعبر بها القوم عن أغراضهم. لقد تجاوزوا هذا التعريف، فجعلها بعضهم جزءاً من أفكار أصحابها الناطقين بها، وجعلها آخرون أداة لا لمجرد التعبير عن أفكار جاهزة، بل لاكتشاف أفكار وحقائق ما زالت غامضة أو مجهولة.

إن قضية استبدال لغة بأخرى في التعليم وفي البحث وفي التعبير عن الفكر ليست، كما هي في ظاهرها، مجرد استعمال ألفاظ أجنبية، في مقابل ألفاظ عربية، لأن اللغات لا تختلف فيما بينها بالألفاظ والتراكيب إلا لاختلاف أصحابها بما وراء ذلك من أفكار وقيم وحقائق. إن اختلاف اللغات، بعضها عن بعض، صورة لاختلاف أصحابها من حيث وجهة نظرهم إلى الكون وما وراءه.

وهناك، أخيراً، شبهة يرددها بعض الباحثين، وهي أن الترجمة إلى اللغة العربية تسد مسد التعريب، وأننا، بنقلنا الكتب العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية، نضع العلم بين أيدي أبناء هذه اللغة. والحق أن لا غنى لنا عن الترجمة، وأنها أمر يجب أن نوليه الكثير من العناية، وأن تكون لها إدارات متخصصة يتم التنسيق بينها على نطاق الوطن العربي، كأن تكون لها إدارات في وزارات التعليم العالي والبحث العلمي، تتولى اختيار الكتب التي ينبغي ترجمتها من جميع اللغات، كما تتولى توزيعها على المختصين بالعلوم التي تتناولها واللغات التي وضعت بها، وتصدر تلك الإدارات، بعد ذلك، نشرة دورية، باللغة العربية، تشتمل على أسماء الكتب التي ترجمت واللغات التي ترجمت عنها مع أسماء المترجمين وأقطارهم ودور النشر التي تولت إصدار الكتاب.

على أن ذلك كله لا يعني أننا عربنا التعليم، وأن نظرة واحدة إلى واقع الترجمة، في العالم العربي، تقنعنا أن الترجمة لا تسد مسد التعريب، وأن علينا أن نباشر التأليف العلمي باللغة العربية. يقول أحد الباحثين: «ولكي نعطي فكرة عما يجري، حالياً، في حقل الترجمة العلمية سنورد بعض الأرقام. فبالاستناد إلى إحصاءات المكتب الوطني للنشر في مصر نجد أن عدد الكتب العلمية المترجمة هو 18 كتاباً، أما الكتب التقنية المترجمة فعددها عشرون كتاباً، وذلك في خلال الأشهر السبعة الأولى من العام 1967. وفي هذين الحقلين نجد أن فرنسا أصدرت (1700) كتاب جديد وأعادت طبع (1300) كتاب آخر، وذلك في خلال الأشهر الستة الأولى من العام 1968، علماً أن مصر هي في طليعة الدول العربية، وهي تسبقها بكثير في حقل الطباعة، في حين أن فرنسا لا تحتل المرتبة الأولى بين الدول الأوروبية».

وعلى هذا فالعالم العربي، رغم حاجته الملحة إلى الترجمة، مقصر في ميدانها، فكيف نقبل بها بديلاً عن التعريب في التعليم أو التأليف. إن هذا الإحصاء ليؤيد ما ذهبنا إليه من وجوب التعريب، وتفصيل ذلك، أولاً، أن الترجمة إذا كانت قاصرة ومتأخرة في ميدان العلم في العالم العربي أفيريدون منا أن نبقى لاهثين وراء الترجمة، ثم تبقى أرقى الدول العربية، في هذا الميدان، متأخرة حتى عن الدول الأوروبية غير المتفوقة فيه؟ ألا يكفي هذا وحده لإقناعنا أن الترجمة لم تعد تجدي وأن علينا أن نخوض بلغتنا غمار العلم. ثم لو قارنا، ثانياً، بين ما أصدرته مصر في ميدان اللغة والأدب والعلوم الإنسانية، وما

أصدرته في مجال الترجمة العلمية لوجدنا ما أصدرته في الميدان الأول أضعاف أضعاف ما أصدرته في المجال الثاني، وفي هذا دليل جديد على أنه لا إبداع ولا تجديد إلا باللغة الأم التي يملك الباحث ناصية التفكير بها كما يملك بها الأداة الجيدة للتعبير. إن البحث الجيد لا يتأتى إلا إذا كان وراءه فهم جيد، ولا يكون الفهم جيداً إلا إذا استطاع صاحبه أن ينتقل به من مجال الفكر النظري إلى ميدان التطبيق العملي، ونحن، في المجتمع العربي، يجب أن نسعى، ما أمكننا السعي، إلى ربط ثقافتنا وعلومنا بحاجة مجتمعنا، وأن نسخر معارفنا النظرية لاحتياجات أمتنا العملية.

يقول الدكتور الزين: «إذا كان غرض الأبحاث فهم الواقع أو الإفادة العملية منه، فإن هاتين الناحيتين لا تُفصلان عن اللغة الأم بأية حال، ويمكننا أن نقول: إن القسم الأكبر من الأبحاث تبدو جدواه ويزدهر حين يلجأ إلى اللغة الأم، وعلى هذا، فإن تعريب التعليم العالي والاستغناء عن الترجمة، أمر ضروري لأنه ينقلنا من المحاضرات المقتبسة المكررة إلى أبحاث ترتبط بالواقع، وتستطيع أن تترك التقليد إلى الخلق والإبداع».

وحينما تقوم الأبحاث العلمية باللغة العربية على مستوى الجامعة، وهي المكان الصالح لقيام الأبحاث، تنتشر المفاهيم العلمية من جهة، ويفهم الواقع فهماً صحيحاً من جهة ثانية. وانتشار المفاهيم العلمية ضرورة لا يمكننا التغاضي عنها، وإلا فإننا نسعى إلى عزل مجتمعنا عن عصر العلم والتقنيات. ولا يقتصر العزل هنا على الناحية الذهنية لمن لم يتيسر له أن يدرس العلوم والعلوم الإنسانية باللغة الأجنبية، بل هو عزل للمجتمع

عامة على مستوى السلوك وعلى المستوى الثقافي. ولا تتعلق المسألة باختصاصات يفهمها المختصون، كل في حقله، وإنما بإمكانية استيعاب المستحدثات في عصر الكهرباوية والتقنية، وفي عصر وعي الإنسان لذاته، ووعي المجتمع لانبناءاته، وللقوى الفاعلة فيه. ولا يتم الاستيعاب مباشرة، إذ لا بد من أن يألفه الإنسان ويدرك معناه، ويربط هذا المعنى بتجربته السابقة فيتحول في موقفه ونظرته للواقع، ولا يتم ذلك إلا بعد أن يألف المصطلحات التي تُستخدم في التعبير عن هذه المستحدثات ويدرك مضمونها، ولا يتيسر ذلك إذا امتنعنا عن تعريب التعليم والبحث، إذ لا يجد غير المختصين صدى لهذه المستحدثات، ويظل هذا الصدى معزولاً عن تفاعلهم مع المجتمع والجماهير... إننا بالقدر الذي نعرب فيه التعليم العالي ونقوم بالأبحاث، باللغة العربية، بالقدر الذي نسعى إلى نشر المفاهيم وتوضيح المستحدثات، في طول المجتمع وعرضه، ولا نلبث حتى تستقر وسائل التقدم في عمق المجتمع وقراره، وعندئذ يمكننا أن نصبح في عداد البلدان المتقدمة. أما أن نضع بقعاً لماعة على سطح مجتمعنا دون أن يكون لها قابلية النفاذ إلى صميمه، لأنها لا تعبر بلغته، فإننا نضع حائلاً في وجه (ديمقراطية) التعليم عامة، ونساعد على هجرة الأدمغة وهي أثمن ما نملكه من ثروات[1].

إن الحديث عن الحضارة والرقي لا يؤدي إلى حضارة أو رقي، وإن مجرد ترجمة الكتب العلمية لا تؤدي إلى تخريج

---

(1) من بحث الدكتور نزار الزين المشار إليه في ص44.

العلماء، بل لا بد أن تتخذ لذلك الأسباب، وإن اللغة الحية لفي طليعة تلك الأسباب. واللغة العربية ملائمة للحياة بما تملك من خصائص ذاتية، ولكنها، مع ذلك، لن تكون لغة حية إلا إذا دفعنا بها إلى الحياة وخضنا بها غمار العلوم، وهي إن كانت اليوم مقصرة في هذا الميدان، فلأن الناطقين بها أنفسهم متخلفون في هذا الميدان.

إن ما يوجه إلى لغتنا، اليوم، من تهمة العجز والتقصير، ليوجه إلينا معها، فهي صورة عنا، ولن تكون الصورة مشرقة وضاءة ما دامت تصور واقعاً فيه الكثير من الظلمة والتخلف. إننا إذا لم ندفع بلغتنا، مع دفعنا لأنفسنا، إلى ميادين البحث العلمي فقدنا التوازن اللازم والسليم بين الغاية والوسيلة، وما أصدق قول الرافعي: «إن اللغة التي ترمى بأنها في سبيل اللغات الميتة، لا يزال يطرأ عليها النقص كلما زادت مستحدثات الحياة، لوقوفها عند حد من الوضع محدود، وقعودها بكل طريق تدفع إليه من طرق التعبير، فلا يبرح أهلها يتناولون من غيرها ويزيدون نقصها، حتى تصبح بهذه المداخلة لغة جديدة من عمل الزمن، وكأن أصلها بقية من أهلها، وأهلها بقية من أصلها، لفقدان المميزات الجنسية التي أخص دلائلها اللغة.

وقد عرَّفوا الكائن الحي بأنه الكائن الذي ينمو من باطنه، فإذا كان في اللغة ما يساعد على نموها المستمر مع بقائها متميزة في نفسها، بحيث تحيل كل ما يداخلها من ألفاظ اللغات الأخرى إلى أوضاعها الخاصة بها والمقومة لهيئتها، فلا تتحيفها الزيادة الطارئة عليها مهما بلغت، ولا تخرجها من حيزها إلى مضطرب لا تثبت لها فيه الجنسية، ولا ينطبق عليها وصف

الاستقلال، وإلا فتلك هي اللغة التي أحق ما توصف به أنها سائلة في طرق الكلام، وأن أهلها صعاليك في طرق التاريخ.

والعربية قد غنيت بأوضاعها حتى كأنها خلقت لتمادي الزمن، وفيها من أسباب النمو ما يحفظ عليها شباب الدهر، غير أنه قد أصابها ما أصاب أهلها من تبدد الكلمة واضطراب الأمر ووهن الاستقلال وتمزق المجتمع، فأصبحت بعدهم كأنها محكومة بقوة خفية لا يُعرف ما هي؟ ولا يظهر منها إلا أثرها الذي تتبينه فيما لحق اللغة من الضعف وما رهقها من العجز، وفي جمودها على حال واحدة، كأنها مقبورة في كتبها منذ تراجع التمدن الإسلامي أيام العباسيين، إلى قريب من هذه الغاية.

ومتى كانت اللغة صورة الأمة فإن كل ما يعتور هذه يتصل أثره بتلك ضرورة، ولذلك بقيت العربية في نفسها على مرونتها الأولى حتى يتاح لها أقوام كأولئك الأقوام، وتقيض لها أقلام كتلك الأقلام»[1].

وإن كثيراً من دارسي اللغات، اليوم، يذهبون إلى أن بين اللغات وأصحابها كثيراً من الخصائص والصفات المشتركة، وهذا القول ينطبق ـ في رأينا ـ على اللغة العربية وأهلها، إذ هي تشاركهم في كثير من صفاتهم الأصيلة، كما تعبر عن أسلوب تفكيرهم، وهي في رقيها واتساعها في عصر، وتخلفها وجمودها في عصر آخر، لترسم، لنا، صورة عنهم في كلا

(1) تاريخ آداب العرب: 1/ 170 ـ 171.

العصرين، فلقد رأينا اللغة العربية شجرة طيبة باسقة الظلال، ريانة الفروع يانعة الثمار، أظلت حضارة وارفة، واستوعبت علوماً مختلفة، يوم عز أهلوها فبنوا حضارة وأسهموا في ميادين البحث العلمي... ثم رأيناها منحسرة الظل، تكاد تجف منها الفروع والثمار، يوم هان أهلوها وتفرقت شعوبها، وتخلفوا وتقلص في مجتمعاتهم ظل المدنية والعلم. وما أشبه الذين يغمضون أعينهم عن رؤية الواقع العربي، ويفتحونها على واقع اللغة العربية وحده، بمن لا ينظر إلا بعين واحدة، ولا يرى من القضية إلا جانباً واحداً.

إن الذين يحاربون تعريب التعليم، ويضعون العقبات في سبيله بحجة عجز اللغة العربية وتقصيرها، كمن ينادون بالتخلي عن الجنسية القومية إذا اتصف قومهم بالعجز والتقصير، وشتان ما بين من يرى في نفسه عجزاً وتقصيراً، فيسعى إلى تغيير ذلك بإخلاص، وهو قادر على التغيير مالك لإمكاناته، ومن يؤثر السلامة والراحة، ويرى أن أسهل السبل للتخلص من تهمة العجز والتقصير أن يغير اسمه ويتنكر لذاته! ولئن كان هذا في مجال الحياة الفردية حمقاً لا يقيم باطلاً ولا يدفع حقاً، فإنه في مجال الحياة القومية عقوق لا يغتفر.

الترجمة والتعريب
ومؤتمرات التعليم العالي[1]

ملاحظات بين يدي البحث:

1 ـ يدور حديثي حول ثلاثة محاور:

الأول: حول بدايات الترجمة والتعريب.

الثاني: حول الترجمة والتعريب.

الثالث: حول مؤتمرات التعريب.

2 ـ يشمل حديثي عن الترجمة والتعريب النقل إلى اللغة العربية والتأليف بها في المجال العلمي، سواء أكان ذلك في كتاب أم معجم أم وضع مصطلح، كما يشمل إنشاء المدارس والمعاهد والكليات، ولغة التعليم.

3 ـ اقتصرتُ في حديثي على مسيرة الترجمة والتعريب في مصر وسورية ولبنان، لأنها الأقطار التي استطعتُ أن أصل إلى معلومات دقيقة وموثقة ومفصَّلة عنها.

4 ـ صنعتُ مسرداً تاريخياً لما يتصل بالترجمة والتعريب

---

(1) بحث ألقي في ندوة اللغة العربية، التي عقدت في جامعة قطر بالدوحة من 24/ 3 ـ 27/ 3/ 1998.

في تلك الأقطار، فذكرتُ، بجانب كل سنة، أبرز أحداث الترجمة والتعريب، أو ما يدلُّ على مسيرة الترجمة والتعريب في تلك السنة. على أني لن أقرأ عليكم هذا المسرد، فقد جعلته ملحقاً في آخر البحث لمن أراد الاستزادة أو التفصيل.

أولاً: بدايات الترجمة والتعريب:

كانت لغة التعليم في البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية هي اللغة التركية، وحين وصل محمد علي باشا إلى الحكم في مصر شعر بحاجة جيشه إلى الفنون الحربية وعلوم الصحَّة أو العلوم الطبيَّة، فوجَّه عنايته إلى هذين الأمرين، واستقدم الأطباء وأنشأ المدارس الحربية والمستشفيات... ولكنه بعد تجارب مخفقة عزم على إنشاء مدرسة طبية فأقامها سنة 1827 في أبي زعبل، وأوكل أمرها إلى طبيبه الخاص كلوت بك[1]، وأمره أن يكون التدريس فيها باللغة العربية. كان الأساتذة في مدرسة أبي زعبل الطبية من الأطباء الفرنسيين والإيطاليين، وكانوا يلقون دروسهم كلٌّ بلغته، والمترجمون إلى جانبهم ينقلون دروسهم إلى الطلاب باللغة العربية، وكثيراً ما كان المترجم يعيد الدرس أو بعضه باللغة الأجنبية ليتأكد الأستاذ الطبيب من فهم المترجم لما قال؛ لأن المترجمين لم يكونوا أطباء، وكان المترجمون ينقلون أسئلة الطلاب إلى الأساتذة. ولم يلبث المسؤولون أن شعروا بعيوب هذه الطريقة التدريسية

(1) هو أنطوان كلوت (1793 ـ 1868م)، وكان طبيباً في مشفى بسويسرا، استدعاه محمد علي باشا إلى مصر سنة 1825، وعيَّنه طبيبه الخاص، وعُرف باسم كلوت بك.

وإخفاقها، فقرروا تكليف عدد من المترجمين نقل الكتب المتصلة بالعلوم الطبية والفنون الحربية وأسلحتها إلى اللغة العربية. وقد ساعدهم على النجاح في ذلك عودة أفراد البعثات التعليمية التي كانوا أوفدوها إلى أوربا في أعوام 1809 وما بعده، وكان أول مبعوث مصري في ذلك العام هو عثمان نور الدين الذي عاد بعد ثماني سنوات وخُصِّص له قصر إسماعيل بن محمد علي في بولاق، وأُلحق به مترجمون لترجمة كتب الفنون الحربية. وأما البعثة العلمية المصرية التي أوفدت إلى أوربا عام 1826 فقد ضمَّت أربعة وعشرين طالباً لدارسة العلوم والطب واللغات الأجنبية، وكان منهم الشيخ رفاعة الطهطاوي.

وأما أول بعثة طبيّة أوفدت إلى فرنسا فكانت في عام 1832، وهي البعثة التي كان لأفرادها، بعد عودتهم إلى مصر، جهود واضحة وفاعلة مؤثرة في الترجمة والنقل إلى العربية والتأليف بها. وكما كانت مدرسة الطب، التي انتقلت بعد عشر سنوات من تأسيسها في أبي زعبل إلى قصر العيني بالقاهرة، أعظم مظاهر النهضة العلمية، كذلك كانت كتب أولئك الأساتذة الذين عادوا إلى مصر فألَّفوا في علم المواليد والجراحة والأمراض الباطنية والأقرباذين والسموم والأمراض الوبائية كتباً علمية عربية لبّت حاجة عصرها، وساعدت على استمرار التعليم بالعربية.

وهكذا تحقق الغرضان اللذان أرادهما محمد علي من إيفاد البعثات إلى أوربا، وهما تلقّي العلم الأوربي ونقله إلى مصر، وترجمة الكتب المتصلة باختصاص المبعوثين إلى اللغة العربية.

ومما يدل على اهتمام محمد علي بالموفدين إلى أوربا ومتابعته لأخبارهم أنه حين سمع أن رئيس مدفعيته أدهم بك الموفد إلى إنكلترا لبس لباس الإنكليز وبدأ يتأثر بأسلوب حياتهم أمر بإعادته إلى مصر وقال: «إنني بعثته ليعاين فابريقاتهم ويقف على صنائعهم ليبثَّها في مصر، لا ليقلِّدهم في ملابسهم وعاداتهم».

وكان أول كتاب طبيٍّ ظهر باللغة العربية كتاب «مبادئ العلوم الطبيّة» الذي طُبع في بولاق عام 1826، وهو للمؤلف الإيطالي فرنشيسكو فاكا، وتُرجم إلى الفرنسية ونُقل منها إلى العربية، ثم ظهر كتابان في عام 1832، أحدهما هو «القول الصريح في علم التشريح» لـ (BAYLE) ترجمه يوحنا عنجوري، والآخر كتاب «العجالة الطبية لحكماء الجهادية» لكلوت بك، ترجمه السكاكيني وطبع في مطبعة مدرسة أبي زعبل. وتتابع العمل في الترجمة أولاً، ثم في التأليف بالعربية ثانياً، لتلبية حاجة المدارس التي أُسست بعد مدرسة الطب؛ فقد أُنشئت في عام 1828 مدرسة الطب البيطري، وفي عام 1830 مدرسة الولادة، وفي عام 1835 أُنشئت مدرسة الألسن باقتراح من رفاعة الطهطاوي لسدِّ حاجة الدولة إلى المترجمين من اللغات المختلفة.

وتتابع ظهور الكتب والمعجمات باللغة العربية، ترجمة وتأليفاً، في العلوم الطبيَّة والصحيَّة والحربية والزراعية والطبيعية والهندسية وغيرها، وكانت حركة الترجمة والتعريب سمة من أبرز سمات القرن التاسع عشر. ومن الطريف أن الترجمة والتعريب، وهو عنوان حديثي اليوم، كان عنوان محاضرة ألقاها

حمزة فتح الله عام 1886 في مؤتمر المستشرقين في فيينّا.

ولا بدَّ قبل مغادرة الحديث عن الترجمة والتعريب في مصر والانتقال إلى بلاد الشام أن ننبه على الأمور البارزة الآتية:

1 ـ إن المسؤولين كانوا يسابقون الزمن جاهدين لترجمة العلوم التي يحتاجون إليها والتأليف فيها، وقد ظهر ذلك في إرسال البعثات وتأسيس المدارس بصورة متتابعة، كما ظهر في توزيعهم للبعثات العلمية على الحقول العلمية المختلفة، ثم متابعة أفراد البعثات وإسناد الأعمال إليهم فور عودتهم، بل لقد كانت أعمالهم تُهيَّأ لهم أحياناً قبل عودتهم، فلقد صدر أمر بتكليف العائدين ترجمة بعض الكتب وهم ما زالوا قيد الحجر الصحّي.

2 ـ إن اللغة العربية كانت تُدرَّس إلى جانب العلوم الطبيّة وغيرها في جميع المدارس.

3 ـ إن المدرسة الطبيَّة، التي أُسست في أبي زعبل ثم انتقلت إلى قصر العيني، كانت المدرسة الوحيدة التي تعلِّم الطب باللغة العربية، وقد استمرَّت على ذلك نحواً من سبعين سنة (1827 ـ 1898).

4 ـ تخرَّج من المدرسة الطبيَّة، بعد عشر سنوات من إنشائها، 420 طبيباً وصيدلانياً، تعلَّموا بالعربية، وعلَّم بعضهم فيها بالعربية، وأوفد بعضهم إلى أوربا لمتابعة اختصاصه.

5 ـ لم تمضِ عشرون سنة حتى كان الطب في مصر عربيّاً بلغته، وبلغ مجموع الكتب الطبيَّة المؤلفة بالعربية 73 كتاباً.

6 ـ إن الترجمة إلى اللغة العربية لم يكن مقصوراً على لغة واحدة، فقد ترجموا عن الفرنسية والإيطالية والألمانية.

7 ـ لم تقتصر الترجمة إلى العربية والتأليف بها على العلوم الطبيَّة وحدها، بل كانت شاملة للعلوم الزراعية والصناعية والعسكرية، وإذا قيل إن أول كتاب طبي ظهر بالعربية يعود تاريخه إلى عام 1826 فإن كتاب صناعة صباغة الحرير المترجم عن الفرنسية ظهر عام 1823.

8 ـ إن العمل في الترجمة والتعريب لم يقتصر على أبناء بلد واحد أو قطر واحد، بل شارك فيه عرب من أقطار مختلفة، وكان بين المترجمين في مصر عدد من السوريين واللبنانيين.

9 ـ إن اللغة العربية كانت لغة التدريس في مصر في جميع العلوم، حتى دخل الإنكليز مصر فأحلُّوا لغتهم محلَّها، على نحو ما فعلوه في كلية بيروت، كما سنرى.

10 ـ إن التدريس باللغة العربية في التعليم العالي والتأليف العلمي بدأ في مصر ثم في لبنان، ولكنه توقَّف وحلَّت الإنكليزية في القطرين محلَّ العربية. وبقيت اللغة العربية مبعدة عن التعليم العالي حتى عام 1919 حين أُسست كلية الطب بدمشق، وهي التي ما تزال تدرِّس بالعربية إلى اليوم مع شقيقاتها كليات العلوم والهندسة والزراعة وسائر الكليات الأخرى والمعاهد العالية في الجامعات السورية.

وننتقل إلى الحديث عن الترجمة والتعريب في بلاد الشام، ولكن حديثنا يبقى متصلاً بحديثنا عن مصر، لأن الجهود المشتركة في التعريب بين هذين القطرين العربيين لا تعود إلى الأربعينات من هذا القرن كما يقال، بل تعود إلى ما قبل ذلك بكثير، فقد قاد إبراهيم باشا الحملة المصرية إلى الشام عام

1832، ورافقه في تلك الحملة الطبيَّة كلوت، المسؤول عن المدرسة الطبية في مصر، حاملاً معه عدداً من الكتب الطبيَّة العربية التي أُنجزت في مصر، وهي أول كتب باللغة العربية في علوم الصحة والطب والصيدلة يطَّلع عليها الشاميُّون، فأعجبوا بها وطالبوا بفتح مدرسة طبيَّة في دمشق مماثلة للتي أسسها محمد علي في مصر، وطلبوا أن يُرسل إليها الأساتذة من الأطباء الذين تخرَّجوا من مدرسة الطب بالقاهرة، ولكن محمد علي أمر أن يختار عشرة طلاب ويُرسلوا إلى مصر لدراسة الطب على نفقة الحكومة، وتمَّ ذلك، واستمرت البعوث الطبية إلى مصر حتى جاء إسماعيل باشا وأصدر أمره في عام 1863 برفع عدد الطلاب المبعوثين إلى خمسة وعشرين طالباً، ونشرت صحيفة الجوائب ذلك القرار، ونصُّه: «العشرة تلاميذ المرخص قبولهم من الشوام بهذه المدرسة مجاناً على طرف الحكومة يصير إبلاغهم إلى خمسة وعشرين، وإنما لا ينحصر قبولهم في ملَّة أو جنس أو ديانة واحدة، بل يعمُّ ذلك كل جنس وملة وديانة من الأغراب بدون قيد، وإنما يُشترط أن يكونوا من الفقراء والمحتاجين» أ.هـ.

وذلك لعلمه أن أولاد الأغنياء يستطيعون التوجه إلى الآستانة ودراسة الطب على نفقتهم. وأما (الأغراب) فقد شرح مؤلف «الرحلة العودية إلى البلاد المصرية» معناها فقال: الأغراب تعمُّ بلاد العرب وبقية مملكة الدولة العليَّة والدول الأجنبية ممَّن يحسن اللغة العربية. وعلى هذا فإن تلك الكتب العلمية في الطبِّ وما إليه هي أول اتصال للشام بكتب علمية حديثة باللغة العربية، وإن أولئك المبعوثين من شاميين ولبنانيين

هم أول من تلّقى علوم الطب باللغة العربية، وقد وضع واحد منهم وهو الطبيب الدمشقي حسين بن مصطفى عودة (ت1868) عدداً من الكتب العربية في الأدوية والعلاج، ووضع لنا كتاباً عن المدرسة الطبية التي درس فيها بمصر يعدُّ وثيقة تفصيلية رائعة عن المدرسة، ومدة الدراسة فيها وأنظمتها وامتحاناتها وكل ما يتصل بها، وسمَّاه «الرحلة العودية إلى الديار المصرية»[1].

على أن المصادر تغفل أمر هذه الصلة و تتحدث عن لغة التعليم فتقول إنها في البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية ـ ومنها بلاد الشام ـ كانت هي اللغة التركية، وتذكر أن ذلك استمر حتى عام 1909م.

وأما الوثائق فتؤكد أن هذا الحكم غير دقيق، وأنه لا ينطبق إلا على المدارس الرسمية المعروفة باسم (المدارس الميريَّة)، وأنه أُسست قبل ذلك التاريخ مدارس أهلية خاصة كانت تعلِّم باللغة العربية، بل إن بعض المدارس (الميريَّة) درَّست قبل ذلك التاريخ، ولمدة قصيرة، باللغة العربية، وكان من تلك المدارس الأهلية الخاصة مدرسة في زقاق النقيب بحي العمارة في دمشق القديمة، أسسها الشيخ محمد المبارك وأطلق عليها اسم (المدرسة العربية)، وعندي المنشور الذي يعلن على الناس افتتاحها ويدعوهم إلى الانتساب إليها، وكانت تُعلِّم اللغة العربية والحساب والترجمة و (مسك الدفاتر)، أي المحاسبة التجارية، والدروس الدينية والأدب العربي وغير ذلك إلى جانب

(1) طبع على الحجر بالقاهرة سنة 1291هـ.

اللغة التركية، وقد أدركتُ بعض الذين كانوا يدرِّسون فيها، وأخذتُ منهم دفاتر دروسهم وما كانوا يملونه على طلابهم. وتؤيد الأخبار ما ذهبتُ إليه، فقد ذكر محب الدين الخطيب أن الشيخ طاهر الجزائري كان على صلة طيِّبة بوالي دمشق العثماني مدحت باشا، وأن هذا الوالي سمح له بتأسيس المدارس، ثم عيَّنه مفتشاً عليها، وأنه ألَّف لها الكتب. قال محب الدين الخطيب: «الشيخ طاهر مؤسس كل ما تأسس في سورية ولبنان وفلسطين من مدارس أميريَّة في زمن ولاية مدحث باشا وحمدي باشا، الذي جاء بعده، وقد تمكن الشيخ طاهر بدهائه أن يجعل العربية لغة التعليم إلى أن غلب على أمره وكُفَّت يده وجعل التعليم فيها بالتركية»[1].

فإذا علمنا أن ولاية مدحت باشا في دمشق انتهت عام 1879م عرفنا صحة ما ذهبتُ إليه.

أضف إلى ذلك أن الكلية الإنجيلية، التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية، تأسست في بيروت عام 1866 وأنها درَّست الطب باللغة العربية، واستمر التدريس في كلياتها باللغة العربية حتى عام 1882، وهو العام الذي حلَّت فيه الإنكليزية محل العربية، وترك الكلية فيه عدد من الأساتذة والطلاب، ومنهم وليم فنديك وجورج بوست[2].

---

(1) كتاب: «الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام» - د. عدنان الخطيب. ص42.

(2) جورج بوست: طبيب جرَّاح وعالم نبات. ولد في نيويورك وهاجر إلى لبنان وعيِّن أستاذاً في الكلية الإنجيلية وعلَّم فيها بالعربية. له=

وفي عام 1903 أنشأ العثمانيون في دمشق «مدرسة الطب العثمانية»، وكان التدريس فيها باللغة التركية، ثم نقلت المدرسة بسبب الحرب إلى بيروت، حيث بقيت ثلاث سنوات وتمَّ إغلاقها عام 1918.

وفي عام 1919 تأسس المعهد الطبي العربي بدمشق، وأُنشئ في العام نفسه المجمع العلمي العربي بدمشق. وكان التدريس في المعهد الطبي باللغة العربية، وهو المعهد الذي تحوَّل، فيما بعد، إلى كلية الطب بالجامعة السورية أو جامعة دمشق، وهي الكلية الوحيدة في العالم التي جعلت التدريس فيها باللغة العربية منذ تأسيسها عام 1919 إلى هذا اليوم.

واستكملت جامعة دمشق تأسيس كلياتها في منتصف الأربعينات، فكانت فيها كليات الآداب والعلوم والهندسة، والمعهد العالي للمعلمين (كلية التربية)، والتدريس فيها جميعاً باللغة العربية.

وكان للقائمين على التدريس في تلك الكليات العلمية جهود رائعة ورائدة في تعريب التعليم تدريساً وتأليفاً ومصطلحاً[1]، كما كان للرعيل الأول من أعضاء مجمع اللغة

= (نبات سورية وفلسطين ومصر) و(علم الحيوان) و(المصباح في صناعة الجراح). مات في بيروت سنة 1909.

(1) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 2 الجزء 2 ص229 (مقال د. حسني سبح: المعجمات الطبيّة)، واللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي ـ د. مازن المبارك ص47 و48، وتعريب العلوم الطبيّة ـ د. عدنان تكريني (مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي عدد 9).

العربية بدمشق جهد واضح وأثر بيِّن في وضع كثير من المصطلحات العلمية والعسكرية.

وتتابعت الجهود في ميدان التعريب، وشارك فيها الأفراد والمؤسسات، وظهرت أعداد كثيرة من الكتب العلميَّة المؤلَّفة والمترجمة، ومن المعاجم الطبيَّة والزراعية وغيرها. وبدأ التواصل العربي في سبيل تعريب المصطلحات، فأصدر مؤتمر اتحاد الأطباء العرب قرارات عام 1938 بتوحيد مصطلحات الطب، واشتركت مصر وسورة عام 1941 في جهود موحَّدة لتعريب المصطلحات. وبدأ العمل الجادُّ في تعريب مصطلحات الطب في أواخر الستينات وأوائل السبعينات حين صدر المعجم الطبيُّ الموحَّد، فتبنَّاه اتحاد الأطباء العرب وطالب مجلس وزراء الصحة العرب توحيد المصطلحات الطبيّة في الوطن العربي فلبَّى المجلس طلبهم. وتألفت في عام 1966م لجنة المصطلحات الطبيَّة العربية في إطار المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بشرق البحر المتوسِّط، وتابعت جهودها حتى وضعت معجماً ضخماً في المصطلحات الطبيَّة هو «المعجم الطبيُّ الموحَّد»، صدر الجزء الأول منه باللغتين الإنكليزية والعربية عام 1973م، ثم صدر بعد سنة بعدة لغات. وامتدَّت جهود التعريب إلى بلاد عربية أخرى، وهي الآن قائمة في المغرب والسعودية والكويت لاستخدام الحاسوب والتقنيات الحديثة في خدمة المصطلحات الطبيَّة.

واستطاعت الكتب العلمية العربية والمعجمات الكثيرة، التي ذكرت في ملحق البحث، والمجلَّات العلميَّة في البلاد العربية، وخاصة تلك التي تصدرها مؤسسة الكويت للتقدم

العلمي، أن تثبت أن العربية قادرة على استيعاب العلم، وأن التعريب ممكن لمن يريده.

الترجمة والتعريب:

استعملت كلمة (التعريب) بمعان مختلفة:

- فلقد استعملها القدماء بمعنى وضع الكلمة الأجنبية في قالب عربي.

- واستعملها كثيرون من مترجمي الكتب في الأجيال السابقة بمعنى الترجمة؛ فكتبوا أسماء الكتب باللغات الأجنبية التي وضعت بها ثم قالوا: تعريب فلان.

- وتستعمل اليوم في مجال المصطلحات، والتأليف والتعليم العلميين أو الجامعيين، أما المصطلحات فيعني تعريبها إيجاد الكلمة العربية المقابلة للكلمة الأجنبية. وأما في التأليف والتعليم، فالتعريب يعني أن يكون ذلك بلغة عربية سواء أكان الأصل أجنبياً ثم نقل إلى العربية، أم كان موضوعاً أصلاً باللغة العربية.

ومع ذلك يبقى هناك فرق بين الترجمة والتعريب، وإذا كانت الترجمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربية بمعنى من معانيها تعريباً أي نقلاً إلى العربية، فإنها في حقيقة الأمر مباينة للتعريب مقصِّرة دونه.

وواضح أننا لا نعني بالتعريب هنا نقل الألفاظ الأجنبية التي لا نجد لها بديلاً عربياً نترجمها به إلى قوالب عربية، وذلك هو تعريب الألفاظ، وإنما نعني بالتعريب استخدام العربية في تأليف الكتب الجامعية والبحوث العلمية والمحاضرات

والدروس التي تلقى في الجامعات ومعاهد التعليم العالي.

وصحيح أن التعريب ـ بهذا المعنى ـ والترجمة يشتركان في أمور لا بد من استيفائها لنجاحهما، كأن يكون المترجم أو المعرِّب متضلعاً من اللغة التي ينقل عنها، متضلعاً من اللغة التي ينقل منها، متمرساً بأساليبهما جميعاً، وأن يكون متخصصاً أو على جانب كبير من الثقافة في الموضوع الذي يتناوله النص المترجم أو المعرَّب، إلا أن الأمر يختلف بعد ذلك بين العملين، وقد قيلت في الفرق بينهما أقوال كثيرة، أذكر طائفة منها[1]:

فالترجمة إلى العربية هي أن تضع لفظاً عربياً في مقابل لفظ أجنبي، وأن تنقل صيغة أجنبية إلى صيغة عربية، وأما التعريب فهو أن تنقل الأفكار والمفاهيم وتعبِّر عنها بأسلوب عربي، وقد تضيف عليها من خبرتك وآرائك أو تعدِّل أو تنقص... المترجم أسير النص الذي يترجمه، والمعرِّب حرّ يطَّلع ويستوعب ويتمثل، ثم يعبِّر عما استوعب وتمثَّل بأسلوب عربي لا يقيده الأصل.

يقول يعقوب صرُّوف، وهو واحد من أعلام المترجمين إلى العربية: «ليست الترجمة بالأمر الهيِّن، بل هي صعبة، وأصعب من التأليف، لأن المؤلف طليق بين معانيه، والمترجم أسير معاني غيره، مقيَّد بها، مضطر إلى إيرادها كما هي وعلى علاَّتها».

---

(1) فقدت صفحة الحواشي المتعلقة بالترجمة والتعريب ومؤتمرات التعريب، فمعذرة إلى السادة القراء والكتّاب الذين ذُكرت أقوالهم وآراؤهم.

العربية المترجم بها غير العربية المؤلَّف بها، في الأولى قسر للألفاظ العربية على التعبير عن مدلولات ألفاظٍ أجنبية، وتطويع للصياغة العربية للأسلوب الأجنبي.. وأما التعريب فتطويع غير العربي للأسلوب العربي، وترك الألفاظ العربية حرَّة تتحرك وتعيش حياتها معبِّرة عن مدلولاتها في الحياة العربية والفكر العربي.

الترجمة نقل وتقليد، والتعريب اقتباس وتطويع. وكلما كان التقليد في الترجمة أنجح، وكان الشَّبَهُ بين النصَّين أظهر، كانت الترجمة أجود، وأما التعريب فكلما كان النص فيه أكثر تعبيراً عن المدلول في البيئة العربية، وكلما كان أنصع أسلوباً، وألصق بالعربية صياغة كان أحسن. يقول تايتلر: «إن أكثر المترجمين تألقاً أقدرهم على نقل خصائص الإنشاء الأصليِّ نفسها». «في الترجمة آلية أو ميكانيكية استطاع العلم الآن أن يسخِّر لها الآلة المترجمة، وهي كالآلة الحاسبة! وأما التعريب فعمل فكريٌّ توليدي فيه اقتباس وإضافة وصياغة لا علاقة لها بالأصل؛ لأنها بنت الفكر الجديد واللسان الجديد».

الترجمة يستطيع أن يقوى عليها العقل الجامد الذي لا يلد، وأما التعريب فأمر لا يحلِّق فيه ولا يقوى عليه إلا المبدعون.

الترجمة صورة عربية لفكر أجنبي، وأما التعريب فمخلوق جديد.

إن بين المترجم والمعرِّب مثل ما بين المصوِّر والمفن (الفنان)، فالمصور يعطيك نسخة مشابهة لما يصوِّر، وأما المفن فسرعان ما يغادر الأصل ليحلق في سماء الإبداع.

الترجمة جمود وثبات عند النص المترجَم، وأما التعريب فحركة واتصال فكريٌّ، وتفاعل حيٌّ بين فكر أجنبي وواقع عربي جديد.

الترجمة قالب أجنبي بحرف عربي، والتعريب علم جديد، وفكر جديد، بأسلوب هو أسلوب الأمة في التعبير عن فكرها وشخصيتها وحركة تاريخها وبناء حضارتها.

«الترجمة تفتح لنا نافذة على شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، وأما التعريب فيقيم بيننا وبين أجيالنا من جهة، وبين الشعوب والأمم كلها من جهة أخرى، وسيلة اتصال مستمر ومتطور. بل إن الأمر أبعد من ذلك كله وأعمق».

إن نقل وسائل المدنية ومظاهر الحضارة لا يعني أبداً نقل المدنية نفسها أو الحضارة نفسها، ومعروف أنه لا تقوم الحضارة إلا إذا وجدت عوامل، وترسخت أصول، وسمحت بيئة وظروف... وكانت تلك الحضارة، قبل ذلك كله وبعد ذلك كله، حضارة ذاتية غير مجلوبة. والفرق بين الترجمة والتعريب كالفرق بين نقل وسائل المدنية ومظاهر الحضارة، وإنتاج الحضارة نفسها. الترجمة نقل، والتعريب إنتاج.

من هذا المنطلق الحضاري ينبغي أن ننظر إلى تعريب التعليم الجامعي الذي نأمل أن ينتقل بتعليمنا الجامعي من مرحلة النقل والتقليد إلى مرحلة الإنتاج والإبداع. وإنا لنرى في التعريب ـ فوق ذلك ـ قريناً للتحرر والاستقلال، ونرى فيه وسيلة للتعبير عن شخصية أمتنا، فمن عجيب اتصال الكلمتين (التعبير والتعريب) أن حروفهما واحدة، حتى لكأن في تشابه

المباني إشارة إلى تلاقي المعاني، ومن خصائص التعبير اللغوي عامة أنه وسيلة إلى الفهم كما هو وسيلة إلى الإفهام، فاللغة ـ كما نعلم ـ ليست مجرد رموز تشير إلى المعاني، ولكنها وسيلة المتكلمين أنفسهم إلى التفكير والإدراك، وعن طريق اللغة يدرك الإنسان نفسه، ويدخل أعماقها، كما يدرك عن طريق اللغة نفسها ما حوله من كائنات، ونحن إنما نصوِّر نظرتنا إلى الإنسان وإلى الكون، نظرتنا إلى الحياة وفلسفتها، من خلال اللغة التي نعبِّر بألفاظها وتراكيبها عن أفكارنا وأنفسنا، بل لنقل إننا حين نختار ألفاظاً معينة دون غيرها، ونصوغها صياغة محددة دون غيرها أيضاً، فإننا في حقيقة الأمر نعبِّر بذلك كله عن موقفٍ معيَّنٍ له أبعاده المستندة إلى الأعماق، حيث العقيدة والشخصية والتاريخ والأصالة والانتماء، وبمثل ذلك تتمايز الأمم.

إن أبرز ما يميز الأمة ويحدد شخصيتها مواقفها المستمدة من تصوراتها المستندة إلى عقيدتها وتاريخها وأصالتها، ولا يتحقق هذا لنا حين نلجأ إلى ألفاظ غير ألفاظ لغتنا، وحين نعبِّر بأساليب ليست من أساليبها، بل إننا حين نترجم تلك الألفاظ، وهذه التراكيب إلى لغتنا نوهم أنفسنا أننا نستخدم لغتنا العربية، على حين أننا متأثرون بالنص المترجم، واقعون تحت ظلال ما يقسرنا عليه من ألفاظ وتراكيب، شدَّتها ألفاظه وتراكيبه كما شدَّها جهد المترجم الحاذق إلى المحاكاة والمشابهة، بذلك تفرض علينا الترجمة عن غير شعور منا أن نستعير مواقف غير مواقف أمتنا، ونصدر عن تصورات غير تصوراتها.

إننا نرى في كثير من الآثار المترجمة في الأدب واللغة والإنسانيات عامَّة ظلالاً لم يستطع المترجم خلاصاً منها ولا من

آثارها، وهي آثار تطل في المضمون تارة، وفي الأسلوب تارة أخرى، ونرى فيها تأثراً بالمؤلف وخضوعاً له، وتسليماً لا يمكن أن نرى مثله فيما نريده من التعريب.

يقول أندرسون: «يجب أن يملك المترجم موهبة المحاكاة والقدرة على تأدية دور المؤلف، وتقمص سلوكه وكلامه ووسائله بأقصى درجة من الإمكان».

بل إن أديباً من أدباء العربية وحذّاق المترجمين، وهو الأستاذ أحمد حسن الزيات، يقول في وصف عمل المترجم: «جهد المترجم اندماج فيمن يترجم عنه، فيشعر بقلبه، وينظر بعينيه، وينطق بلسانه، وبهذا التطويع وهذا الاندماج يتحقق الصدق في التعبير والأداء، ويكون المؤلف والمترجم كالشخص وصورته في المرآة».

إن لغتنا العربية التي ندرك ونتصور من خلال ألفاظها وجملها، هي وسيلتنا إلى الرؤية الواضحة الخاصة، و التصور السليم المتميز، ولا يتحقق ذلك بالنقل، ولا بالتقليد، وهما دعامتا الترجمة، وإنما يتحقق بأن نستوعب ما ننقل، ثم نتمثّله ونروِّضه في أعماق الفكر والنفس، ثم نخرجه بعد ذلك خلقاً جديداً متميزاً بنا موسوماً بخصائصنا.

على أن دعوتنا هذه إلى التعريب لا يجوز أن تكون ذات أثرٍ سلبي في الترجمة، وهي ليست دعوة إلى وقف الترجمة أو التقصير في ميدانها، لأن الترجمة في جميع الأحوال ضرورة تدعونا إليها حاجتنا إلى استكمال المعرفة، ولكنا أردنا من هذه الدعوة ألا تقف جهودنا عند حدود الترجمة، وألا يؤخذ

التعريب على أنه قرين الترجمة في النقل والتقليد.

بل لعلنا نستطيع أن نقول: إن التعريب مرحلة تتلو مرحلة الترجمة، وإنه لا بد لنا في هذه المرحلة من الجمع بين الأمرين: الترجمة القائمة على نقل المعارف إلى لغتنا، والتعريب القائم على التأليف والتأصيل والإبداع. ولقد كان الفرق بين هاتين المرحلتين واضحاً أشد الوضوح في الكتب العلمية التي تُرجمت، والكتب التي وُضعت بالعربية، وكان لبعض الجامعات العربية فيها فضل السبق والريادة.

حول مؤتمرات التعريب

يعيش العرب اليوم في مأساة يكفي لندرك عمقها أن نرى رجالاً منا، نحن العرب، يدعون زملاءهم، ويناشدون أمتهم أن تكون لغة العرب هي لغة الجامعات في عواصم العروبة في بغداد والقاهرة والجزائر والرباط...

ولقد بات من المألوف في حياتنا العربيّة المعاصرة أن يصبح كل موضوع «قضية»!

ففي السياسة قضايا، وفي الاقتصاد قضايا، وفي الثقافة قضايا، وفي الإعلام قضايا، وفي الكتاب العربي ونشره وتنقُّله قضايا، ولكل قضية مؤتمرات وندوات ولجان، ولقد أتقنا ذلك وأحسنّا في البدء إذ أمسكنا برؤوس الطرق، ولكن تشعبت بنا المسالك بعد ذلك وبعدت النهايات.

فإذا كنا لا نريد للتعريب أن يصبح قضية، وأن يسير في متاهات الطرق العربية فيُكتفى منه بالمؤتمرات والندوات إشعاراً بالرعاية والاهتمام، ثم لا تبلغ تلك المؤتمرات والندوات من قوة التأثير والنفاذ ما تستطيع أن تتجاوز به حدود التوصيات لتصبح أثراً نافذاً، وعملاً واضحاً في الساحة العربية والحياة العربية.

وإذا كنا نؤمن أن التعريب عودة إلى العربية والعروبة، ووصل لحاضرنا ومستقبلنا بماضينا وتراثنا.

وإذا كنا نؤمن أن العربية هي الثوب اللساني، أو الصورة اللغوية للفكر العربي الإسلامي وللحضارة العربية الإسلامية..، كذلك كانت وكذلك يجب أن تكون..

وإذا كنا نؤمن أن توحيد لغة العلم في الوطن العربي عامل من عوامل تقدم هذا الوطن، وعامل من عوامل الانسجام القومي بين أبنائه...

وإذا كنا نؤمن أن الحكم على لغةٍ ما لا يكون إلا من خلال تاريخها، ومراحل حياتها المتطورة، أو من خلال الخصائص الذاتية التي تتصف بها، وأن اللغة العربية في ضوء ذلك، وضوء غيره من المقاييس، هي لغة فكر وعلم وحضارة...

وإذا كنا نؤمن أن التعريب لم يعد أمراً نقف لبيان محاسنه، من سرعة في الفهم، واستيعاب للمعنى، ودقّة في الدلالة، وإتاحة الفرص للإبداع... وإنما هو قضية حضارية مصيرية.

إذا كنا نؤمن بكل ذلك فإنه لم يعد كافياً أن نتحدث في مؤتمراتنا عن جدوى التعريب، ولكن المعقول أن تبذل مؤتمراتنا مسعى جاداً لوضع صيغة العمل العربي المشترك والجاد في سبيل تطبيق التعريب والأخذ به. وفي ضوء ذلك كان لزاماً علينا أن نقف اليوم لنسأل:

أليس التعريب قضية تجاوز عمرها نصف قرن على الأقلّ؟

أليس التعريب توصية لمؤتمر واتفاقاً بين حكومات قد بلغ عمره نصف قرن أو أكثر؟

لقد نصت الاتفاقية الثقافية، التي وافق عليها الوزراء العرب عام 1946، على الوصول باللغة العربية إلى تأدية جميع أغراض الفكر والعلم الحديث، وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في مراحل التعليم في البلاد العربية.

وتبعت التوصية توصيات وبقيت الحاجة إلى التعريب!.

وعقد المؤتمر الأول للتعريب عام 1961 في الرباط، واتخذ توصيات، وتتابعت بعده المؤتمرات والندوات عام 1964 في الجزائر و1969 في القاهرة، و1973 في الجزائر، و1975 في ليبيا و1978 في بغداد. وتراكمت التوصيات! وكان آخرها عام 1997، وهي توصي بالعمل على تعريب التعليم العالي والجامعي حتى لا تظل جامعات الأمة العربية الجامعات الوحيدة في العالم التي تدرِّس العلوم بلغة أجنبية.

وتوصي أن تُنشأ هيئة كبرى للترجمة تضع خطة لترجمة العلوم والتكنولوجيا العربية.

أيها السادة:

هل من حرج علينا إذا قلنا إن الحياة العربية المعاصرة مصابة بأدواء مزمنة أو موسمية، وإن كل مشكلة من مشكلاتها قضية، وكل قضية من قضاياها مشكلة، وإن هذه الحياة أصبحت سلسلة من الحلقات تدور الأمة في إطارها، وليست السلسلة في حقيقتها حلقات متجددة ولكنها حلقة واحدة متكررة.

إن تغيير المتحدث، وتغيير الزمان، وتغيير المكان، يوهم أننا نسير، والواقع أننا نكرِّر أنفسنا، ونراوح في مكاننا ونعيش

حياتنا الماضية في ثياب حياة جديدة موهمين أنفسنا أننا سائرون.

إن علينا اليوم أن نخلع ثوب التكرار، فإنه يقتل القضية، ويدخل بها في تيه الرتابة والنمطية التي يعيشها العرب اليوم.

علينا، لكيلا يصبح التعريب مرضاً مزمناً، أن ننهي الحديث عن المبادئ التي انتهت المؤتمرات والندوات إلى التسليم بها واتخاذ التوصيات بشأنها.

علينا، لكيلا يصاب التعريب بنكسة، أن نحفظ للغة الأجنبية مكانتها، وللمضمون الفكري والعلمي مستواه الرفيع.

ولعلَّ مما يحقق ذلك، ويطمئن الزملاء المعارضين للتعريب، أن تعمد الكليات الطبيَّة والعلمية إلى إبقاء مقرَّرَين من المقررات الدراسية في كل عام باللغة الأجنبية، تدريساً ومرجعاً وامتحاناً، وللكلية أن تعيِّن هذين المقرَّرَين، ولها أن تغيِّرهما بعد مدَّة تعادل سنوات الدراسة فيها، وذلك بحسب توافر الأساتذة الذين يتقنون تلك اللغة. وبذلك يتمُّ تعريب القسم الأكبر من المقررات، ويتقن الطالب اللغة الأجنبية التي درس بها مقرَّرَين في كل سنة من سنوات دراسته، وعرف مصادرها ومصطلحاتها، وأصبحت أجيال المتخرِّجين على صلة بأكثر من لغة أجنبية واحدة، وتمكَّنت الكلية من تدريس المقرَّر باللغة الأجنبية التي يتميَّز أصحابها بالشهرة والخبرة في موضوعه، وتنوَّعت موارد العلوم، واختلفت اللغات الأجنبية للعلماء العرب، وكان ذلك كله دعماً للغة العربية التي دخلت بها الكليات العلمية إلى الأفاق العلمية والتقنية المعاصرة.

علينا، لكيلا تتكرر الجهود، أن نرفع إلى اتحاد الجامعات العربية توصية بإصدار نشرة تجمع أسماء الكتب العلمية، التي تُرجمت أو عُرِّبت أو أُلفت أصلاً بالعربية قديماً وحديثاً، مرتبة بحسب الموضوعات.

كما يحسن أن تُخصَّص معارضُ الكتب، التي تقام في الأقطار العربية، أجنحةً خاصة للكتب العلمية المترجمة والمعرَّبة.

علينا، لكيلاّ يضيع منا الجهد والوقت، أن نسأل ماذا تمَّ بتوصيات سبقت من قبل:

* ماذا تم بالاتفاقية الثقافية التي وافق عليها الوزراء العرب عام 1946، والتي تنص على جعل العربية لغة الدراسة في جميع المواد في جميع مراحل التعليم في البلاد العربية؟

* ماذا تم بتوصية المؤتمر الثقافي العربي الثامن، الذي عقد في القاهرة في كانون أول (ديسمبر) 1969، والتي نصت على استعمال اللغة العربية لغة للتدريس والبحث العلمي في جميع مراحل التعليم بالكليات والمعاهد العلمية والتقنية في البلاد العربية؟.

* ماذا تم بتوصية المؤتر الثاني للتعريب، الذي عقد في الجزائر في كانون أول (ديسمير) 1973، والتي نصت على مباشرة تطبيق برنامج مرحليٍّ مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية في مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والأدبية، بدءاً من العام الدراسي 1974/ 1975، وأهابت بالملوك والرؤساء العرب أن يسلكوا إلى ذلك أقرب الطرق!.

* ماذا تم بتوصيات مؤتمر تعريب التعليم العالي، الذي عقد في بغداد في آذار (مارس) عام 1978، والتي نصت على مناشدة الملوك والرؤساء العرب إصدار التشريعات والقوانين لتطبيق التعريب في مراحل الدراسة كلها، كما نصت على الاستفادة من وسائل الإعلام في نشر اللغة السليمة على الجمهور، واختيار المذيعين من بين المتمكنين من الإلقاء الصحيح، وإدخالهم دورات تقوية في اللغة العربية ليكونوا قدوة للمستمعين، وتطبيق ذلك في مختلف الأنشطة والفعاليات الإذاعية والإعلامية والفنية؟.

* ماذا تم بهذه التوصيات وبعشرات مثلها؟ وأنّى لمؤتمرنا هذا أن تكون توصياته أنجح أو أسعد حظاً فتلقى نصيباً من التطبيق والتنفيذ؟

أيها السادة...

روي أن عبد الله بن عمر ظلَّ خمس سنوات يحفظ سورة البقرة، ولما سئل في ذلك قال: لا أتجاوز آية حتى أعمل بما فيها. ونحن نتخذ في كل مؤتمر عشرات التوصيات، ثم نجتمع من جديد لاتخاذ توصيات جديدة، وكأن التوصيات هي الغاية.

إننا نقترح أن يقوم مؤتمرنا هذا بجمع كل ما صدر عن مؤتمرات التعريب من توصيات، وأن يبوِّبها، وينسِّق بينها حتى لا يعاد الحديث عنها، وأن يقترح تشكيل لجنة من اتحاد الجامعات العربية، يفرِّغها الاتحاد للتعريب، لتقوم بمتابعة تنفيذ التوصيات ومعرفة ما تم من ذلك في كل قطر من الأقطار العربية المشاركة في اتحاد الجامعات، ليتسنى لمن يجتمع بعد

ذلك أن يقوِّم ويعدِّل ويجدِّد، أي أن يسير بدلاً من أن يعيد ويكرر ويراوح، وبذلك يكون مؤتمرنا مؤتمر المؤتمرات، وثمرة الندوات، يقوِّم التوصيات، ويصنفها، وينسِّق بينها، ويضيف إليها، ثم يخطط لمتابعة التنفيذ، وبذلك يكون له فضل السبق في الانتقال من مرحلة التنظير والتقرير إلى مرحلة التنفيذ والتطبيق.

المصادر

1 ـ البعثات العلمية في عهد محمد علي: الأمير طوسون.
2 ـ تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر في عهد محمد علي: د. جمال الدين الشيال.
3 ـ التعليم في مصر: د. أحمد عزت عبد الكريم.
4 ـ الحركة اللغوية في الوطن العربي (1918 ـ 1975): د. شكري فيصل.
5 ـ عصر محمد علي: عبد الرحمن الرافعي.
6 ـ اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي: د. مازن المبارك.
7 ـ مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي عدد 9، (تعريف العلوم الطبية في العصر الحديث): د. عدنان تكريني.
8 ـ مجلة اللسان العربي م2 رمضان 1384هـ يناير 1965م الرباط.
9 ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م2 ج2: د. حسني سبح.
10 ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث: الأمير مصطفى الشهابي.
11 ـ نظرة على الرحلة العودية إلى الديار المصرية: د. عدنان تكريني.

الملحق

مسرد بأحداث تتصل بالترجمة والتعريب

1 ـ في مصر:

السنة:	الحدث

1809 بدأ إرسال البعثات إلى أوربا، وكان آخرها سنة 1849، وهي سنة وفاة محمد علي باشا.

1809 سافر إلى أوربا أول مبعوث لمصر، وهو عثمان نور الدين.

1817 عاد عثمان نور الدين إلى مصر، وخُصص له قصر إسماعيل بن محمد علي ببولاق، وأُلحق به مترجمون لترجمة كتب الفنون الحربية.

1821 تأسست مطبعة بولاق، وكانت أولاً في محلة السيدة زينب وكان اسمها المطبعة الأهلية، ثم نقلت إلى بولاق فعرفت بهذا الاسم. كما عرفت باسم المطبعة الأميرية، والميرية، ومطبعة الحاج محمد علي باشا، وبدار الطباعة العامرة، ودار الطباعة الخديوية.

1821 وتأسست بعد مطبعة بولاق، بعشر سنوات، مطابع حكومية أخرى كمطبعة الجهادية، ومطبعة المدفعية،

ومطبعة مكتب الحربية السلطانية، ومطبعة المدرسة الطبية بأبي زعبل، ومطبعة مدرسة المهندسخانة الخديوية (لطباعة الكتب المترجمة في الحساب والهندسة والطبيعة).

وأما المطابع الأهلية فتأخرت عن مطبعة بولاق نحو أربعين سنة، وقد جذبت تلك المطابع العربية بشهرتها وإتقانها بعض المستشرقين، فطبع مرغوليوث الإنكليزي (معجم الأدباء)، ما بين سنتي 1909 و1916، في مطبعة بالموسكي، وطبع الألماني برونله كتاب نظام الغريب لعلي بن عيسى الربعي سنة 1912 [وطبعت مطبعة السعادة سنة 1932 كتاب طبقات القراء بتحقيق برجستراسر]، وطبعت المطبعة الرحمانية كتاب المصاحف للسجستاني بتحقيق المستشرق الإنكليزي أرثر جفري سنة 1936.

1822 صدر عن مطبعة بولاق أول قاموس (معجم) طلياني عربي من وضع الأب رفائيل نخلة زخور، وهو سوري مقيم في مصر، وكان العضو الشرقي الوحيد في مجمع نابليون.

1823 صدر أول كتاب علمي باللغة العربية، مترجم عن الفرنسية باسم «كتاب في صناعة صباغة الحرير»، ترجمة الأب رفائيل زخور.

1826 صدر عن مطبعة بولاق أول كتاب طبّ باللغة العربية اسمه «مبادئ العلوم الطبيّة»، ألّفه بالإيطالية فرنشيسكو فاكا، وترجم إلى الفرنسية ومنها إلى العربية، ولم يذكر اسم مترجمه.

السنة:	الحدث
1826	أرسلت إلى أوربا أول بعثة علمية ضمَّت 24 طالباً، كان منهم علي هيبة لدراسة الطب، والشيخ رفاعة الطهطاوي للُّغة والترجمة.
1827	أُسست مدرسة أبي زَعبَل الطبيَّة.
1828	أُسست مدرسة الطبّ البيطري.
1830	أُسست مدرسة الصيدلة.
1832	أُسست مدرسة الولادة.
1832	أُرسلت أول بعثة طبيَّة إلى فرنسا، ومن أعضائها: الرشيدي، السبكي، الشافعي، السكّري، بخيت... وغيرهم. وكان لأفرادها بعد عودتهم إلى مصر أثر كبير في الترجمة والتعريب.
1832	طبع كتاب «القول الصريح في علم التشريح» تأليف بايل BAYLE، وترجمة يوحنا عنجوري، وهو سوري مقيم في مصر. ويُعتقد أنه أول كتاب طبٍّ يظهر باللغة العربية بعد كتاب مبادئ العلوم الطبيَّة.
1832	صدر عن مطبعة مدرسة أبي زعبل الطبيَّة كتاب «العجالة الطبيَّة لحكماء الجهادية» تأليف كلوت بك وترجمة السكاكيني.
1835	أُنشئت مدرسة الألسن باقتراح من رفاعة الطهطاوي وكانت للعربية والتركية والفرنسية، ودرَّست لفترات الفارسية والإنكليزية.

1857 توفي في هذه السنة محمد بن عمر التونسي، وكان قد بدأ منذ عام 1832 يشتغل بتنقيح الترجمة العربية لكتب الطب التي أُلّفت لمدرسة أبي زعبل، كما أنه وضع معجماً سمّاه «الشذور الذهبيّة في المصطلحات الطبيّة»، ومن هذا المعجم نسخة مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس، ولم يطبع منه سوى الجزء الأول.

وألّف التونسي أيضاً:

الدرر اللوامع في **النبات** وما فيه من الخواص والمنافع، وكتاب «كنوز **الصحّة**»، وكتاب «روضة النجاح الكبرى في العمليّات **الجراحية الصغرى**»، وكتاب «الدرُّ الغوال في معالجة أمراض الأطفال».

وأشرف في مطبعة بولاق على طباعة كثير من الكتب العربية التراثية مثل: مقامات الحريري، والمستطرف للأبشيهي، والقاموس المحيط للفيروزأبادي.

وللتونسي هذا كتاب «تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان» حققه د. خليل عساكر. د. مصطفى مسعد، د. مصطفى هدّارة، وطبع بالقاهرة عام 1965 وفي مقدمة التحقيق أخبار ضافية عن المؤلف وآثاره.

1870/69 أصدر الطبيب المصري محمد رشدي البقلي في باريس معجماً باسم «قاموس طبّي فرنساوي عربي».

1876 صدر كتاب «الفلاحة اليونانية» ترجمة سرجس الرومي. وفي هذه المرحلة طبعت أكثر المعاجم العربية، كلسان

العرب الذي صدرت طبعته البولاقية الأولى سنة 1300هـ، وتاج العروس، والصحاح، وكتب التراث كالعقد الفريد الذي طبع ببولاق عام 1876.

1877 طبع كتاب القانون في الطب لابن سينا ببولاق، وكان طبع في روما منذ سنة 1593.

1883 صدر في الإسكندرية «معجم طبّي عربي فرنساوي» لإسكندر نعمة.

1886 ألقى الشيخ حمزة فتح الله في فيينا محاضرة عنوانها «الترجمة والتعريب»، وهو أديب أزهري، أقام في تونس وأخرج جريدة «الرائد التونسي» ثم عاد إلى مصر وأصدر جريدة «البرهان» ثم «الاعتدال»، وأوفدته الحكومة لحضور مؤتمر المستشرقين في فيينا ثم في استوكهولم، ومات سنة 1918.

1893 صدر في القاهرة «قاموس طبّي إنكليزي عربي» لخليل خير الله.

1898 تولّى (كتنغ) مدرسة الطبّ، وجعل الإنكليزية لغة التدريس فيها.

1900 صدر في الإسكندرية «قاموس الإدارة والقضاء» لفيليب جلال، وهو في ثمانية مجلدات، خمسة منها عربية وثلاثة فرنسية.

1901 صدر عن المطبعة الخديوية (بولاق) كتاب «دعوة الأطباء» لابن بطلان، و «تكملة الحديث في الطب القديم والحديث».

السنة:	الحدث
1903	صدر في الإسكندرية «قاموس فرنساوي عربي» لمحمد النجاري.
1908	ظهر في القاهرة كتاب «الاشتقاق والتعريب» للشيخ عبد القادر المغربي.
1911	صدر «المعجم الإنكليزي العربي في العلوم الطبيَّة والطبيعية» للدكتور محمد شرف.
	وتتالت في العشرينات من القرن العشرين جهود واضعي المعجمات الطبيَّة، ثم بدأ العمل في المعجم الطبيِّ الموحَّد بإشراف اتحاد الأطباء العرب.
1919	طبع كتاب «التقريب لأصول التعريب» للشيخ طاهر الجزائري بالمطبعة السلفية بالقاهرة.
	وتتابع في مصر صدور الكتب التي أُلِّفت باللغة العربية في علوم الطب والصيدلة والنبات والجيولوجيا والكيمياء، التي وضعها المختصون من العلماء وأساتذة الجامعات.
1958	صدر بالقاهرة كتاب «المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنيَّة والهندسية» لحسن حسين فهمي.

2 ـ سورية ولبنان:

السنة	الحدث

1866 تأسست في بيروت الكلية الإنجيلية، وهي التي عرفت فيما بعد باسم الجامعة الأمريكية، وبدأت بكليَّتين إحداهما للآداب والثانية للعلوم.

1867 افتتحت في الكلية الإنجيلية كلية الطب.

1871 افتتحت في الكلية الإنجيلية كلية الصيدلة. وكان التدريس في جميع الكليات الإنجيلية باللغة العربية، واختير لها أطباء وعلماء ومبشِّرون يتقنون العربية.

1880 بدأت اللغة الإنكليزية تحلُّ تدريجياً محل اللغة العربية في الكلية الإنجيلية.

1882 توقف التدريس باللغة العربية في الكلية الإنجيلية، وترك الكلية عدد من الأساتذة والطلاب.

1883 افتتح اليسوعيون في بيروت كلية الصيدلة، وجعلوا الفرنسية لغة التدريس.

1888 افتتح اليسوعيون في بيروت كلية الطب، ودرَّسوا فيها بالفرنسية.

1903 تأسست بدمشق مدرسة الطب العثمانية، وكان التدريس فيها بالتركية. وقد كانت الدروس النظرية تلقى في بيت زيور باشا بالصالحية، وأما الدروس العملية ففي المستشفى العام.

وفي عام 1913 انتقلت المدرسة إلى أبنية خاصة بها

أقيمت في حديقة المستشفى، ولم يكن عدد طلاب المدرسة يتجاوز الأربعين طالباً من كل البلاد العربية.

1908 ألّف الشيخ عبد القادر المغربي كتاب «الاشتقاق والتعريب» وطبعه بالقاهرة.

1913 تأسس في بيروت مدرسة الحقوق (بمدرسة الصنايع)، وكانت تدرس أصول الفقه والمجلة والأوقاف والوصاية والفرائض والزواج باللغة العربية، وسائر المقررات الأخرى باللغة التركية.

1914 نقلت مدرسة الحقوق إلى دمشق.

1915 نقلت مدرسة الطب العثمانية من دمشق إلى بيروت بسبب الحرب.

1918 أُغلقت مدرسة الطب العثمانية في بيروت، وقد تخرج منها ما بين سنة تأسيسها بدمشق عام 1903 إلى سنة إغلاقها (110) من الأطباء و(152) من الصيادلة.

1918 توقفت مدرسة الحقوق التي كانت أُعيدت إلى بيروت.

1919 تأسس المعهد الطبيّ العربي بدمشق، وكان التدريس فيه بالعربية، وهو الذي تحوَّل فيما بعد إلى كلية الطب بالجامعة السورية (جامعة دمشق)، وهي الكلية الطبية الوحيدة التي درّست باللغة العربية منذ تأسيسها إلى اليوم.

1919 أُنشئت في دمشق مدرسة الحقوق.

السنة:	الحدث
1919	عُيِّن الشيخ طاهر الجزائري مديراً للمكتبة الظاهرية بدمشق.
1919	تأسس المجمع العلمي العربي بدمشق، وهو الذي أصبح اسمه، منذ الوحدة بين مصر وسورية، «مجمع اللغة العربية».
1921	بدأ التنسيق بين معهدي الطب والحقوق ليصبحا نواة الجامعة.
1922	أفتتحت فروع طب الأسنان والتمريض والقبالة في دمشق.
1923	أطلق اسم معهد الحقوق بدل مدرسة وجعل مع معهد الطب، والمجمع العلمي العربي، ومتحف دمشق، مؤسسةً واحدةً تحمل اسم الجامعة السورية.
1928	أُنشئت في دمشق مدرسة الدروس الأدبية العليا، تابعة للجامعة تدرِّس اللغة العربية والأدب والفلسفة وعلم الاجتماع، وغُيِّر اسمها عام 1929م إلى مدرسة الآداب العليا.
1934	أغلقت مدرسة الآداب العليا.
1938	أصدر مؤتمر الأطباء العرب قرار توحيد مصطلحات الطبِّ.
1941	بدأت الجهود المشتركة بين مصر وسورية في تعريب المصطلحات.

السنة:	الحدث
1943	صدر بدمشق معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي.
1946	استكملت جامعة دمشق تأسيس كلياتها ومنها كلية العلوم، وكان التدريس فيها بالعربية في جميع الأقسام، وأُلِّفت الكتب بالعربية في علم الجراثيم والأمراض الباطنية، وأمراض القلب، وعلم الطبيعة، والكيمياء والرياضيات وعلم النبات وعلم النسج والتشريح المقارن، والأغذية وتحليلها وعلم الحيوان وغيرها (المرسوم 1005 في 24/ 11/ 1365 و19/ 10/ 1946).
1947	صدر المرسوم الجمهوري رقم 87، الذي يحدِّد الكليات الجامعية بالجامعة السورية وهي: (الطب، والحقوق، والهندسة، والآداب، والعلوم، والمعهد العالي للمعلمين ـ التربية) بتاريخ 12 شعبان سنة 1366هـ و30 حزيران (يونيو) 1947م، ثم أُلحقت بها فيما بعد كليتا الشريعة والتجارة.
1956	تُرجم إلى العربية معجم كليرفيل وهو «معجم المصطلحات الطبيَّة الكثير اللغات» يضم الفرنسية والإنكليزية والألمانية والعربية.
1965	اقترح مؤتمر المجامع العربية في بغداد تشكيل لجنة توحيد المصطلحات العسكرية تحت إشراف الجامعة العربية والقيادة الموحَّدة.
1966	أَلَّف اتحاد الأطباء العرب لجنةً لتوحيد المصطلحات الطبيَّة.

السنة:	الحدث

1967 صدر في بيروت «قاموس حتّي الطبي» الإنكليزي العربي.

1968 أنجزت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية عملها.

1970 صدر عن الجامعة العربية المعجم العسكري الموحَّد.

1970 صدر في دمشق معجم تعويض الأسنان للدكتور ميشيل خوري.

1973 صدر الجزء الأول من المعجم الطبيّ الموحَّد (إنكليزي ـ عربي).

1974 صدر الجزء الأول من معجم العلوم الطبيّة لأحمد حمدي الخيّاط ومرشد خاطر بالفرنسية والعربية، ثم أضاف إليه د. هيثم الخياط اللغة الإنكليزية.

1978 صدرت الطبعة الثانية المصحَّحة للمعجم الطبيّ الموحَّد.

1983 صدرت الطبعة الثالثة مزيدة بالفرنسية وفيها 40,000 مادة.

1987 صدر «مصطلحات طب الأسنان» لقتيبة الشهابي.

1993 صدرت طبعة جديدة «لقاموس حتّي الطبيّ» بعد أن زاد عليه ووسّعه شريكه أحمد شفيق الخطيب.

وما زالت الجهود اليوم مبذولة في المغرب والسعودية والكويت لاستخدام الحاسوب والتقنيات الحديثة في خدمة المصطلحات الطبيّة.

مجامع اللغة العربية:

السنة	الحدث
1919	تأسس المجمع العلمي العربي بدمشق، ثم أصبح اسمه «مجمع اللغة العربية».
1932	تأسس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
1947	تأسس مجمع اللغة العربية في بغداد.
1956	عقد في دمشق مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية.
1971	تأسس اتحاد المجامع اللغوية.
1977	تأسس مجمع اللغة العربية الأردني، وانضمَّ إلى اتحاد المجامع العربية.
1980	تأسست (الأكاديمية) المغربية.
1993	تأسس مجمع اللغة العربية بتونس.
1993	تأسس مجمع اللغة العربية في الخرطوم.
1994	تأسس مجمع اللغة العربية في ليبيا.
1994	تأسس مجمع اللغة العربية في فلسطين.
1996	انضمَّت (الأكاديمية) المغربية إلى اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.

المؤتمرات والندوات:

السنة:	الحدث

1946 وقَّع وزراء التربية العرب في الكويت إتفاقية ثقافية للوصول باللغة العربية إلى تأدية جميع أغراض الفكر والعلم الحديث، وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في مراحل التعليم في البلاد العربية.

1952 عُقد في عمَّان مؤتمر منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (فاو) وأوصى بترجمة عربية للمصطلحات الحراجية.

وترجم الأمير مصطفى الشهابي معجم المصطلحات الحراجية عن الفرنسية، وأضاف إليه اللغة الإنكليزية والعربية مع تعريفها باللغة العربية.

1961 عُقد المؤتمر الأول للتعريب في الرباط.

1964 عُقد في الجزائر مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية.

1969 عُقد في القاهرة المؤتمر الثقافي العربي الثامن، وأوصى باستعمال اللغة العربية في التدريس والبحث العلمي في جميع مراحل التعليم.

1971 عُقد في دمشق مؤتمر تطوير التعليم العالي والجامعي.

1973 عُقد مؤتمر التعريب الثاني في الجزائر، وأهاب بالملوك والرؤساء أن يسلكوا أقرب الطرق لمباشرة تعميم التدريس بالعربية بدءاً من عام 1974/ 1975م في جميع مراحل التعليم ولكل المواد العلمية والأدبية.

السنة:	الحدث
1975	عُقدت في طرابلس بليبيا ندوة الثقافة العربية للتعريب.
1978	عُقد في بغداد مؤتمر تعريب التعليم العالي، وأعاد التوصيات والنداءات السابقة، وزاد توصيات تتصل بلغة الإعلام واختيار المذيعين وعقد الندوات التدريبية لهم.
1982	عُقد مؤتمر التعريب بدمشق (من 27/ 4 إلى 3/ 5/ 1982م).
1996	عُقدت ندوة التعريب والحاسوب بدمشق (من 9 ـ 11/ 1/ 1996م).
1997	عُقدت الدورة الثالثة والستون لمجامع اللغة العربية، وصدرت عنها توصية بالعمل على تعريب التعليم العالي والجامعي حتى لا تبقى جامعات الأمة العربية الجامعات الوحيدة في العالم التي تدُرس العلوم بلغة أجنبية. وتوصية بإنشاء هيئة كبرى للترجمة تضع خطة لترجمة العلوم والتكنولوجيا الغربية... وتوصيات أخرى تتصل بالترجمة من العربية وإليها، والتدريب على ذلك، وبالمصطلحات ولغة الإعلام.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
هذه الصفحات	5
اللغة العربية في التعليم العالي	7
استخدام اللغة العربية في التعليم العالي	21
المصطلحات ووسائل إنجاح التعريب	35
شبهات وردود	47
الترجمة والتعريب ومؤتمرات التعليم العالي	63
حول مؤتمرات التعريب	81
المصادر	88
الملحق: مسرد بأحداث تتصل بالترجمة والتعريب	89
1 ـ في مصر	89
2 ـ في سورية ولبنان	95
مجامع اللغة العربية	100
المؤتمرات والندوات	101
الفهرس	103

جرد
٢٠١٤

رقم: 29 - 74